التناغم الصوتي
في بنية الكلمة العربية " الإبدال أنموذجًا "

د . صباح عبد الله محمد بافضل

ملخـــص:

يهدف هذا البحث إلى تفسير ظاهرة إبدال الحروف بعضها من بعض في باب الإبدال في وزن " افْتَعل تفسيرًا يساعد على الكشف عن كيفية حدوثها وسببه ، وقد عرض لتفسيرها الأقدمون والمحدثون على حد سواء ؛ إلا أن الباحثة تبنت طريقة تختلف عنهم ؛ حيث فسرت الظاهرة وفق التناغم الصوتي الحادث في بنية الكلمة .

وكان من أهم نتائج البحث مايلي :

– للصرف والأصوات علاقة وثيقة ؛ إذ يعتمد الصرف اعتمادًا كبيرًا على الأصوات ، وهو أشد التصاقًا به من النحو.

– حدوث عملية الإبدال في وزن " افْتَعَل " ؛ لأجل التناغم والانسجام الموسيقي بين الأصوات ، ولا يخضع لقانون ثابت ، وقد أثبتت ذلك من خلال هذه الدراسة .

– ترتبط نظرية التناغم الصوتي في بنية الكلمة باللهجات العربية ارتبطا قويًا .

– كما أن لهذه النظرية علاقة قوية باللهجات فإن لها علاقة وطيدة أيضًا بالقراءات القرآنية .

***ومن أهم التوصيات :** لا توجد قوانين ثابتة لهذا الإبدال ؛ فكل قانون له شواذ – كما رأينا – ، وما ذلك إلا لأن طبيعة اللغة تخضع للممارسة ولا تخضع لقوانين لا تحيد عنها ؛ لأن لكل قاعدة شواذًا .*

Abstract:

The Phonemic Harmony in Arabic Word Structure and Morphology (Substitution). The aim of this study is to explain the phenomenon of letters substitutions between each other that had been discussed in substitution chapter as this will help us in identifying how does it happened and why ? it was explained similarly by Seniors and narrators .However، the author in this research adapted different ways . thus , she explained this phenomenon according to the phonemic harmony that happened in the structure of word.

The most important result of this research:

- There are strong bonds between Arabic words structures , morphology and sounds .In other words , Arabic word structures and morphology depend mostly on sounds more than grammatical structure .
- Based on this study ,substitution process in the word that discussed in substitution chapter was contributing to harmony between sounds and there was not any constant rule for it .
- The theory of harmony of sound in structure of word and morphology was strongly related to Arabic dialects.
- In addition , this theory has a great association with Holy Quranic readings.

Recommendations: There are no constant original rules in this substitution ; because for every rule there is an exception and this may contributed to the nature of the language had been taken by practicing and not by specific rules.

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونصلي ونسلم على حبيبنا المصطفى خير خلق الله وبعد؛ فقد شغف علم الصرف قلبي حبًّا منذ أن ألفت كتابي كتاب : "الإعلال والإبدال بين النظرية والتطبيق" والذي نُشِر كتابًا وبحثًا عام ١٩٩٧م ، ثم أتبعته ببحثي "التصغير بين الأصالة والتجديد" وقد نشر عام ٢٠١٤م ، وقد حاولت فيهما تبسيط وعورة السير فيه هذين البابين من الصرف .

وما أن وقعت عيناي على كتاب أستاذنا القدير الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين : " المنهج الصوتي للبنية العربية" –نشر عام ١٩٨٠م– حتى قرأته في جلسةٍ واحدةٍ ، وبعدها

قررت أن أبدأ رحلة التجديد في الصرف العربي، فأخذت أكوِّن نفسي ؛ لأستفيد من خبرات من سبقني ، فتلوته بقراءة كتاب : " التصريف العربي من خلال الأصوات" للدكتور الطيب البكوش ، والذي نُشِر عام ١٩٩٢م ، ثم كتاب الدكتور فوزي الشايب : " أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة " ؛ لهذا عزمت على أن ألج غمار الصرف الحديث ؛ فجاءت فكرة هذا البحث الذي سكبته تحت عنوان : (**التناغم الصوتي في بنية الكلمة العربية "الإبدال أنموذجًا"**)؛لعله يكون حجر بناء لنظم عقد جديد في صرح علم الصرف.

وقد قسَّمت هذا البحث إلى مطلبين : المطلب الأول الجانب النظري : ويندرج تحته ما يلي : مستويات اللغة ، فالتحليل الصرفي ، العلاقة بين المورفيم والألومورف ، تصنيف المورفيم ، أهمية علم الأصوات في التحليل العلمي للغة، وأخيرًا علاقة الصرف بالأصوات.

أما المطلب الثاني فعرضت فيه للجانب التطبيقي للإبدال، وبدأت بتعريف الإبدال عند القدماء والمحدثين، ثم انتقلت إلى رأي القدماء فالمحدثين، وأخيرًا رأي الباحثة. وختمته بمجموعة من التوصيات والنتائج ، وأخيرًا قائمة المصادر والمراجع. وقد استخدمت المنهج الوصفي الاستقرائي والمنهج التحليلي النقدي .

وأخيرًا أرجو أن أكون قد وفقت في هذا العمل ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن يتقبله بقبول حسن ۞ ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَه عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَاطَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَىْ الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ ﴾ البقرة: ٢٨٦

تمهيد

قبل أن أخوض في غمار علم الصرف الحديث ؛ ليتجلى الموضوع ، ينبغي لنا أن نعرف أنَّ دراسة اللغة سواء كان المنهج وصفيًّا أم تاريخيًّا يندرج تحت أربعة مستويات هي : " المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي ، والمستوى النحوي ، والمستوى الدلالي.

١- **مستوى الأصوات :** (Phonology)

ويدرس أصوات اللغة، ويشمل كلا النوعين المعروفين باسم علم الأصوات العام وعلم الفونيم. والوحدة الأساس أو المادة الخام لعلم الأصوات العام، هي الصوت المفرد الذي يعرف بأنه صوت لغوي بسيط يمكن تسجيله بالآلات الحساسة في المعمل، ولهذا العلم فروع هي علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات الفيزيائي، أو الطبيعي، وعلم الأصوات السمعي.

٢- **مستوى الصرف** : (Morphology) أو مستوى دراسة الصيغ اللغوية، وخاصة التغييرات التي تعتري صيغ الكلمات، فتحدث معنى جديدًا مثل: اللواحق التصريفية كألف الاثنين وواو الجماعة وياء النسب، والسوابق مثل أل التعريف، وحروف المضارعة، والتغييرات الداخلية[١] والصرف والتصريف لغة

١- د . سليمان أحمد سليمان ، **في علم اللغة والأصوات** ، الطبعة الأولى ، [بدون مدينة نشر] مكتبة المتنبي ؛ ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م ، ص٩٧ ؛ د .محمد أحمد حماد ، **علم اللغة العام** ، الطبعة الأولى ، الرياض : دار أشبيليا للنشر والتوزيع : ٢٠٠٣م ، ص ١٦٨ .

يعني التغيير[٢] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾[٣].

والتصريفُ لغةً: تَصْيِيرُ الشّيءِ في جهةٍ مختلفةٍ على طريق التَّعاقُبِ ، وَهُوَ فِعلٌ من الصَّرفِ[٤]. وفي الاصطلاحِ: علمٌ يتعلَّقُ بأحوالِ أبنيةِ الكَلِمِ التي ليستْ بإعرابٍ[٥]، وقالَ ابنُ مالكٍ في شرحِ الكافيةِ هو : " تحويل الكلمةِ من بنيتِها إلى غيرِها ؛ لغرضٍ لفظيٍ أو معنويٍ "[٦]، وقالَ في التَّسهيلِ : " هُوَ عِلمٌ يتعلَّقُ ببنيةِ الكلمةِ ، وما لحروفِها منْ أصالةٍ وزيادةٍ وصحَّةٍ وإعلالٍ"[٧]، وعُرِّف أيضًا بأنه : " تصييرُ الكلمةِ على مثالٍ ما بالطُّرق التي سلكتْها العربُ ، والقياسُ عليها من تغييرِ حركةٍ

٢- عبد الصبور شاهين ، **المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي** ، [بدون طبعة] بيروت : مؤسسة الرسالة ؛ ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م ، ص٢٣ ؛ د . الطيب البكوش ، **التصريف العربي من خلال الأصوات** ، الطبعة الثالثة ، تونس : المطبعة العربية ؛ ١٩٩٢م ، ص١٧.

٣- وتتمة الآية : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ سورة البقرة آية ١٦٤

٤- في اللسان ، الصرف : ردُّ الشيء عن وجهه انظر مادة : ص . ر . ف (انظر أبا الفضل جمال الدين محمد ابن مكرَّم بن علي بن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب ، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين ، [بدون طبعة] ، القاهرة : دار الحديث ؛ ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م).

٥- من أصول علوم العربية يهتم بالبحث في صورها وهيئاتها (انظر : محمد علي التهانوي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق : الدكتور علي دحروج ، الطبعة الأولى ، لبنان : مكتبة لبنان ؛ ١٩٩٦م ، ١٧/١ ، ١٠٧٦/٢ ، وقريب من تعريف المتن تعريف الرضي حيث يقول : (الصرف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب) انظر : رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي ، **شرح شافية ابن الحاجب** ، تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد [بدون طبعة] بيروت : دار الكتب العلمية ؛ ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م ، ١/١ ؛ وانظر تعريف أبي الفتح عثمان ابن جني للتصريف في : المنصف . تحقيق : الأستاذ إبراهيم مصطفى والأستاذ عبد الله أمين ، الطبعة الأولى ، [بدون مدينة نشر] : وزارة المعارف العمومية إدارة إحياء التراث القديم وإدارة الثقافة العامة ؛ ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م ، ٢/١؛ علي بن مؤمن ابن عصفور ، الممتع في التصريف ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة ، الطبعة الرابعة ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ؛ ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م،٣١/١-٣٢

٦- أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني ، شرح الكافية الشافية ، تحقيق : عبد المنعم أحمد هريدي ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ودار المأمون للتراث ؛ ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م ، ٢٠١٢/٤

٧- المؤلف السابق ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق : د . محمد كامل البركات ، [بدون طبعة] ، [بدون مكان نشر] : دار الكاتب العربي ؛ ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م ، ص٢٩٠

أو سكونٍ ، وزيادةٍ وحذفٍ ، وقلبٍ وإبـــدالٍ، ونقلٍ وإدغامٍ ".

والصرف على قسمين : تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني، كالتصغير، والتكسير، واسم الفاعل، واسم المفعول . والآخر تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها ولكن لغرض آخر، وينحصر في الزيادة ، والحذف، والإبدال، والقلب، والنقل ، والإدغام[٨]. ومعنى هذا أن التغيير يحدث لأمرين : معنى طارئ على الكلمة ، والثاني يتعلق بتسهيل النطق وهو الغرض اللفظي . وهذا ما أكده ابن مالك .

بينما عرَّفت القواميس الأوربية الحديثة علم الصرف بأنه : (البحث في نشأة الكلمات والتغيرات التي تطرأ على مظهرها الخارجي في الجملة)[٩]

وهذا التعريف لايختلف كثيرًا عن التعريف لدى العرب القدماء ، (وبذلك يقترب معنى الصرف من معنى مصطلح " المورفولوجيا " Morphology في الدراسة اللغوية الحديثة)[١٠]

ويمكن أن يقسم الصرف إلى صرف يخدم النحو ، وصرف يخدم المعجم ، والنوع الأول يعرض للوحدات الصرفية التقسيمية : كالاسم ، والفعل ، والحرف ، والمصدر، واسم الفاعل ، واسم المفعول ،..إلخ.

أما النوع الثاني الذي يعرض للوحدات الصرفية التي تخدم المعجم فهي في الغالب الوحدات الصرفية الاشتقاقية ، وما يتصل بها من : نحو المصدر ، واسم الفاعل ، والصفة المشبهة ، واسم الزمان ، واسم المكان وغير ذلك من المشتقات.

وقد تجمع بعض الوحدات الصرفية في اللغة العربية بين الجانبين : النحوي ، والمعجمي ؛ لأن اللغة العربية طبيعتها اشتقاقية.

٣- **مستوى النحو:** الذي يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية ، ومن الواضح أن هناك علاقة قوية تربط بين علم الصرف وعلم النحو ؛ فأبو حيان مثلا يجعل موضوع علم النحو يضم أحكام الكلمة في حالة الإفراد أو في حالة التركيب : أي ما يشمل دراسة الصيغة وهو موضوع علم الصرف والتركيب وهو موضوع علم النحو[١١] .

وفي رأيي أن علم الصرف والنحو كل منهما يكمل الآخر ؛ فالأول يعنى ببنية الكلمة ، والثاني يهتم بضبط آخر الكلمة .

٤- **مستوى المفردات** : الذي يختص بدراسة الكلمات المنفردة ، ومعرفة أصولها ، وتطورها التاريخي، ومعناها الحاضر، وكيفية استعمالها، ويدخل تحت دراسة المفردات: فرع يسمى الاشتقاق وهو يختص بدراسة تاريخ الكلمات،

٨- مخطوطة **شرح على السِّلك والعنوان ومقام اللؤلؤ منه والعقيان** ، منسوب إلى ابن عصفور ، وهي نسخة موجودة بالمكتبة العامة بالرباط ورقمها ٤٥٩D، لوح ٣/أوب.

٩- د . البكوش ، التصريف العربي ، ص١٧

١٠- د. عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي ، ص٢٣.

١١- د . محمد حماد ، علم اللغة ، ص ١٦٨ .

وفرع آخر يسمى الدلالة ويختص بدراسة معاني الكلمات، وهناك فرع يسمى المعجم وهو فن عمل المعجمات اللغوية "[١٢].

وقد أدرك ابن جني العلاقة الوثيقة بين هذه المستويات؛ لذلك نراه يقول: (ونبغي أن يُعْلَم أن بين التصريف والاشتقاق نسبًا قريبًا، واتصالاً شديدًا ؛ لأن التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتُصرِّفها على وجوهٍ شتى . . .، وكذلك الاشتقاق أيضًا . . . إلا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه ، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف ، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق . . . ؛ فالتصريف إنَّما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة ، والنحو إنَّما هو لمعرفة أحواله المتنقِّلة . . . ، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف ؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة أحواله المتنقِّلة ؛ إلا أن هذا الضرب من العلم لمَّا كان عويصًا صعبًا بُدِئ قبله بمعرفة النحو ثم جيء به بعدُ ؛ ليكون الارتياض في النحو موطِّئًا للدخول فيه ومعينًا على معرفة أغراضه ومعانيه)[١٣]

ومعنى هذا أن المستويات اللغوية (أصوات + صرف + نحو ....إلخ) متشابكة متداخلة إلى درجة تجعل عزل بعضها عن بعض عزلاً كاملاً عملاً غير دقيق، بل غير مقبول من ثقات الدارسين. ولكن يبدو أن بعض علماء العربية لم يدركوا تمامًا مدى العلاقة بين فروع الدراسات اللغوية، أو مسائل اللغة المختلفة في عمومها. لذا نراهم ينظرون إلى هذه الفروع أو المسائل كما لو كانت منفصلة، لا يضمها إطار عام مشترك يوحي بوحدتها وانتظامها جميعا تحت موضوع رئيسٍ واحد [١٤] .

وممَّا يؤكد أن الحدود بين هذه المستويات الأربعة غير واضحة تماما ومتشابكة أنَّ (أصوات اللغة مثلا تتأثَّر كثيرًا بالصيغ ، والعكس صحيح ، والصوت والصيغة كلاهما يتأثران غالبا بالمعنى ، كذلك يوجد تبادل مطرد بين الصرف والنحو كما هو الحال بالنسبة لبعض اللغات حين تَسْتَعْمِل واحدًا منهما ، وتستغني عن الآخر ؛ ولهذا فإن الصرف والنحو كثيرًا ما يجتمعان تحت اسم واحد هو التركيب القواعدي)[١٥]. وهو ما يعرف بالتحليل الصرفي. ومن هنا سيكون حديثي عن التحليل الصرفي .

التحليل الصرفي :

انصرف الدارسون في الحديث إلى البحث عن عنصر صرفي آخر، يمكن التعرف إليه وتعريفه بصورة أدق، بصرف النظر عن بنيته واتصاله أو انفصاله، وله في الوقت نفسه قيمة ومعنى في التركيب؛ فقام بعض علماء اللغة في دراساتهم بتقسيم الكلمات في العربية إلى وحدات

١٢- د . محمد حماد ، علم اللغة ، ص ، ص ١٦٨ .

١٣- ابن جني ، التصريف ، ١/٣-٥ .

١٤- د . كمال بشر ، **التفكير اللغوي بين القديم والجديد** ، [بدون طبعة] ، القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر ؛ ٢٠٠٥م ، ص٢٨٥.

١٥- د . حماد ، علم اللغة ، ص١٧٥ .

بنائية ذات معنى، تمثِّل كلُّ وحدةٍ منها أصغر ما يمكن الوصول إليه في هذا التقسيم، فكان اتفاقهم على اتخاذ المورفيم، أساسًا للتحليل الصرفي في أي لغة من اللغات[١٦].

ومن هنا برز مصطلح " المورفيم " ليحل غالبا محل مصطلح الكلمة في الدراسات اللغوية العامة.[١٧] ، ومصطلح المورفيم معناه : هو أصغر وحدة ذات معنى في بنية الكلمة لها معنى أو وظيفة نحوية فيها ، وهي بهذا لا يمكن تقسيمها إلى أجزاءٍ أصغر منها ذات معنى أو وظيفة نحوية[١٨] ، وقد درسه المحدثون تحت ما سموه بعلم "المورفولوجيا" ، أو علم الصيغة أو البنية[١٩] . فعلى سبيل المثال تتألف (مسلمون) من مورفيمين (مسلم) و(ون) ، ولا يمكن أن تنـــقسم الكلمة (مسلم) أو(ون) إلى أقسام أخرى لهـــا معنى من الناحية الصرفية .

وللدلالة على أن المورفيم ذو علاقة وطيدة بالنحو أنه إذا انضمَّ إلى مورفيمٍ آخر استلزم نسقًا معيَّنا من نظم الكلام أو تغيير معنى ؛ مما يلتحق به كلمة كان أم تركيبًا . مثلًا : أكتب مكونة من ثلاثة مورفيمات ، المورفيم الأول هو: همزة التكلم + كتب + الضمير المستتر وجوبًا " أنا " ، ويمكن التعبير عنها بهذه المعادلة البسيطة :

أ + كتب + أنا المستتر. وعليه فأستطيع أن أقول : أنا أكتب ولا أستطيع أن أقول: هو أكتب. ولو قلنا كتبت استطعنا بالمثل أن نقول: أنا كتبت. و لا نقول:هو كتبت.

و هكذا نجد أن كلاًّ من المورفيمين السابقين قد حدَّد وحدات التركيب ونسق نظمه، ومن هنا كان لكلٍّ واحدٍ منهما معنى أي قيمة صرفية محددة[٢٠]. و تتمثل المورفيمات أساسًا في الكلمات و اللواصق . و تنقسم اللواصق إلى :

١ــ **سوابق** : كما في حروف أنيت التي تدخل على الفعل المضارع ، وأل التعريف الداخلة على الأسماء.

٢ــ **لواحق** : كالضمائر المتصلة كما في ضربت مثلا .

٣ــ **دواخل** : كالألف في شارك إذا قورنت بـــ " شرك "[٢١] ، وشرط الحشو أن يكون بين حرفين أصليين[٢٢].

١٦- د . كمال بشر ، ص١٨١ .

١٧- أبو السعود أحمد الفخراني ، **في علم اللغة العام** ، الطبعة الأولى ، الدمام : مكتبة المتنبي ؛ ١٤٢٨ه ــ= ٢٠٠٧م ، ص١٩٩.

١٨- د . محمود فهمي حجازي ، **مدخل إلى علم اللغة** ، [بدون طبعة] ، [بدون مكان نشر] ، دار قباء للطباعة والنشر ؛ [بدون تاريخ نشر] ، ص٩٠ ؛ د . أحمد محمد قدور ، **مبادئ اللسانيات** ، الطبعة الأولى ، دمشق : دار الفكر ؛ ١٤١٦هــ = ١٩٩٦م ؛ د . حماد ، علم اللغة العام ، ص١٦٨ .

١٩- د . أبو السعود الفخراني ، في علم اللغة ، ص١٢٣ .

١- د . كمال بشر ، التفكير اللغوي ، ص ١٧٧ .

٢- المرجع السابق ، ص١٧٧ .

٢٢- د . إبراهيم محمود خليل ، **في اللسانيات ونحو النص** ، الطبعة الثانية ، عمَّان : دار المسيرة للنشر ؛ ١٤٣٠هــ = ٢٠٠٩م ، ص٧٣.

والآن يبرز سؤال ما العلاقة بين المورفيم والألومورف ؟

العلاقة بين المورفيم والألومورف :

(إذا ثبت المورفيم ، أو الوحدة الصرفية في نطقٍ واحدٍ لا يتغير بتغيير السياقات الصوتية ، يسمى مورفيمات ، وإذا تغير نطقه بتغير السياقات تسمى هذه التغييرات النطقية ألوفونات لفونيمٍ واحدٍ ، مثل : تاء الافتعال التي تنطق في " اشترك " تاءً ، وطاء في "اصطبر" و دالا في "ازدهر")[٢٣] .

وقف اللغويون فيما يعرف بـ (علم المورفيم) على العلامات المستعملة في تغيير الأبنية ، وصنفوا المادة اللغوية إلى مجموعتين من المورفيمات :

١- المورفيمات الحرة:

وهي التي يمكن أن تأتي مستقلة مثل: (ض ر ب) في ضربتُ، وغير ذلك مما يسمى بالأصل أو الجذر.

٢- المورفيمات المقيّدة:

وهي التي لا تأتي مستقلة بنفسها ، وإنما تستعمل دائما مع غيرها، مثل (التاء) في:ضربتُ، وغير ذلك، ممَّا يسمى بالسَّوابق، واللواحق، والدواخل أو الأحشاء[٢٤] .

(والمورفيم المقيد لا يعدو أن يكون علامة لغوية صوتية تتألف من فونيمٍ واحدٍ أو أكثر، أو من مقطعٍ صوتيٍّ واحدٍ قصيرٍ أو طويلٍ، مغلقٍ أو مفتوحٍ ، يضاف على المورفيم الحر للحصول على صيغة صرفية جديدة منه)[٢٥] .

كما تنقسم المورفيمات إلى نوعين آخرين :

أ- مورفيم صوتي، ويأخذ عدة أشكال :

١- **الشكل الأول:** يظهر في إضافة عنصرٍ صوتيٍّ يتكوَّن من صوتٍ واحدٍ، أو مقطعٍ، أو عدَّة مقاطع، ويتمثَّل في السوابق، واللواحق، والأحشاء.

٢- **الشكل الثاني:** يظهر في صورة " تبادل الأصوات الصائتة"، ومن ذلك المقابلة بين المفرد وجمع التكسير في حالاتٍ معيَّنةٍ، ففي جمع كلمة "رجل" نقول: "رجال"، والقيمة المورفولوجية لهذا الجمع يُدل عليها بطبيعة أصواتها الصَّائتة وترتيبها مقابل طبيعة الأصوات الصائتة وترتيبها في مفردها "رجل" .

٣-**الشكل الثالث** من هذا المورفيم الصوتي : يظهر في عنصرٍ من عناصر الأداء كالتنغيم والنبر والوقف .

ب- أما النوع الآخر فهو مورفيم لا تظهر له علامة صوتية دائمًا ، وإنما يُستدَلُّ على وجوده من المعنى الوظيفيِّ أو الاستتار أو الحذف ، ويُطلَق عليه بعضهم : "المورفيم الصفر" .

١- د . محمد حماد ، علم اللغة العام ، ص١٧٢- ١٧٣.

٢٤- أبو السعود الفخراني ، في علم اللغة العام ، ص١٢٥ ؛ إبراهيم محمود خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، ص٧٢-٧٣.

٢٥- ابراهيم محمود خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، ص٧٣.

وقد أطلق الباحثون على هذه الصور مصطلح "**ألومورفات**" . ومعنى هذا أن المورفيم الحر يسمى مورفيمًا؛ بينما المورفيم المقيد والصفري يطلق عليه "" **ألومورفات** "

والمورفيم قد تتعدد صوره صوتيًّا بفعل السياق، ويُطلق عليه في هذه الحالة "المورفوفونيم" أي : الوحدة الصوتيَّة الصَّرفيَّة ، وبعض الباحثين جعل هذا المورفيم الصَّرفيَّ الصَّوتيَّ نوعًا من أنواع المورفيم الصَّرفيِّ الوظيفيِّ المسمى بالألومورف[٢٦]. وقد صُنِّفت المورفيمات وفق تصنيفاتٍ هي :

تصنيف المورفيم :

(من حيث الشكل : قد يتعدَّد شكل المورفيم للوظيفة الواحدة ، كما في حالة الرَّفع في اللُّغة العربيَّة ، فقد يكون المورفيم ضمة أو واوًا ، كما في الأسماء ، وقد يكون نونًا كما في الأفعال. وقد يأتي المورفيم بصورةٍ واحدةٍ لأكثر من وظيفة ٍكنون الرفع في الأمثلة الخمسة ، ونون المثنى والجمع ... إلخ)[٢٧].

(من حيث الوظيفة والقيمة: تصنَّف المورفيمات أيضًا من حيث معانيها وقيمها الصرفية في اللُّغة المعيَّنة. من ذلك مثلًا في اللُّغة العربيَّة: مورفيمات الإعراب – ومورفيمات معاني الزيادة في الأفعال، وحروف أنيت، وضمائر الرفع المتصلة، وضمائر النصب المتصلة، ومورفيمات الاستفهام والنِّداء ... إلخ)[٢٨].

(من حيث التصنيف إلى أنماطٍ : يعتمد هذا التَّصنيف على الوظيفة وعلى طرائق توزيع المورفيمات في التركَّيب واختصاصها بتراكيب أجناسٍ نحويَّةٍ معيَّنةٍ . فأدوات النَّفي صنف " للأسماء أو الأفعال أو كليهما " ، وأدوات الاستفهام صنفٌ ثانٍ ، وأدوات الجزم صنفٌ ثالثٌ ، وأدوات النداء صنفٌ رابعٌ وهكذا . . .

وقد يكون المورفيم عنصرًا منطوقًا ، كما في الأمثلة السابقة ، أو غير منطوق ، كما في نحو : كتب . ففي هذا المثال معنا مورفيم ذو قيمة ؛ ولكنه لم ينطق . وقد أشار إليه النحاة العرب بالضمير المستتر، أي أن التقدير :" كتب هو " .

وقد يتمثل المورفيم في تغيير تركيب الصيغ أو حركاتها ، كما في الفعل المبني للمجهول إذا قورن بالمبني للمعلوم ، وهو مايسمى مورفيم المغايرة)[٢٩].

والآن يفرض سؤال نفسه هل لعلم الأصوات أهمية في التحليل اللغوي للإجابة عنه أقول:

أهمية علم الأصوات في التحليل العلمي للغة :

تعد الأصوات (اللَّبنات الأولى التي تشكِّل اللُّغة ، أو المادَّة الخامَّ التي تُبنَى منها الكلمات والعبارات . فما اللغة إلا سلسلةٌ من الأصوات المتتابعة ، أو المتجمِّعة في وحداتٍ أكبر ترتقي حتى تصلَ إلى المجموعة النفسيَّة .

٢٦– د . أبو السعود ، في علم اللغة العام ، ص١٢٦– ١٣٠

٢– د . كمال بشر ، التفكير اللغوي ، ١٧٧ .

٣– المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

١– د . كمال بشر ، التفكير اللغوي ، ص ١٧٨–١٧٩ .

وعلى هذا فإن أيَّ دراسةٍ تفصيليَّةٍ للُغةٍ ما تقتضي دراسةً تحليليَّةً لمادَّتها الأساس ، أو لعناصرها التَّكوينيَّة وتقتضي دراسة تجمُّعاتها الصَّوتيَّة . وربما كان أكثر فروع الدِّراسة اللُّغويَّة حاجةً للتَّحليل الصَّوتيِّ،هو علم الصرف.

كما أن دراسة الدِّلالات ترتبط ارتباطًا كبيرًا بدراسة التَّبادلات الصَّوتيَّة في الموقع الواحد . ولا يستغني اللُّغويُّ مهما كان منهجه في دراسة اللُّغة ، وصفيًّا أو تاريخيًّا أو معياريًّا أو مقارنًا ،لا يستغني عن علم الأصوات)[٣٠] .

ومن هنا نرى أن العلاقة وثيقة بين الأصوات واللغة بشتَّى فروعها ، وهذا يقودنا للحديث عن علاقة الصرف بالأصوات ؛ لتكون منطلق الدِّراسة التَّطبيقيَّة .

علاقة الصَّرف بالأصوات :

لا يمكن دراسة الصرف دراسةً صحيحةً إلا بالاعتماد على الوصف الصَّوتيِّ (فليس هناك علم للدلالة بلا صرفٍ، ولا علمٌ للصَّرف بلا أصواتٍ) فدراسة الأصوات هي المقدمة الأولى لدراسة تركيب الكلمات، أو دراسة الصرف بمعناه الخاصِّ .

وموقع النَّبر في الفعل الماضي في العربيَّة تؤكِّد أهميَّة اعتماد الصرف على الأصوات ؛ فالفعل الماضي الثُّلاثي المجرَّد ينبر مقطعه الأول دائمًا ؛ فإذا اتصلت به لاحقةٌ صرفيَّةٌ تغير موقع النبر فيه فتقول: ضرب بنبر المقطع الأول فإذا قلت:"ضربت" نبر المقطع الثاني[٣١].

(والصرف أشدُّ التصاقًا من النَّحو بالأصوات ونظريَّاتها ونظمها ، وعجيب أن نجد بعد ذلك من يتصدَّى لتدريس الصَّرف العربيِّ دون اعتمادٍ على أفكار علم الأصوات اللُّغويَّة . يلمح التَّجاهل التَّام لهذا الأساس العلميِّ ؛ اكتفاءً بالمحفوظ والمشهور من الصِّيغ والقواعد التَّقليديَّة ، و ضنًّا أن يبذل ولو قليلًا من الجهد لتحصيل شيءٍ جديدٍ ، أو على الأقلِّ وجهة نظرٍ أخرى ، والعلم يزكو باختلاف وجهات النَّظر ، وتواردها ، وتكاملها أو تضاربها)[٣٢] .

وهذا ما أكَّده كلٌّ من الدكتور عبد العزيز علام والدكتور عبد الله ربيع حيث ذكرا : أنَّ (من أكثر العلوم اللغوية استفادة بعلم الصوتيات " علم الصرف أو المورفولوجي " Morphology " فكيف تقوم دراسةٌ صرفيَّةٌ كاملةٌ للُّغة دون وعيٍ صوتيٍّ ، ومعرفةٍ دقيقةٍ بطبيعة الأصوات – التي تكوِّن الصِّيغة – وبخصائصها ! وما علاقة الأصوات بعضها ببعض من حيث التَّجانس أو التَّنافر في داخل الكلمة ؟ ثم ما التغيُّرات الصوتيَّة التي تتعرَّض لها الأصوات من الزِّيادة ، والحذف ، والتَّطويل ، والتَّقصير ، والإدغام . والإبدال، والقلب؟ . وكيف تحدث هذه الظَّواهر؟

٣٠- د . أحمد مختار عمر ، **دراسة الصوت اللغوي** ، الطبعة الثانية ، القاهرة : عالم الكتب ١٩٨١ م ، ص ٣٤٧-٣٤٨ .

٣١- عبد الغفار حامد هلال ، **الصوتيات اللغوية** ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار الكتاب الحديث ، ٢٠٠٩ م ، ص٢٤.

٣٢- د . عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي ، ص٩.

ولمَ ؟ وهل تظلُّ قضايا الإعلال والإبدال والقلب على ماهي عليه في لغتنا – مثلًا – من تفسيراتٍ وتعليلاتٍ هي في معظم الأحوال في بعدٍ عن واقع اللُّغة ، وعن تاريخ الكلمة ، وتطوُّرها)[٣٣]

إذن العلاقة وثيقة بين علم الأصوات من ناحيةٍ ، وعلم النحو والصرف من ناحيةٍ أخرى؛ بل هو بالصرف أوثق علاقة منه بالنحو . وهذا ما سنراه في الجزء التطبيقيِّ من البحث

الذي سأطبقه على باب الإبدال . وهذا يستلزم منَّا تعريفه ؛ لهذا سأبدأ بتعريفه :

المطلب الثاني : الجانب التَّطبيقيُّ في الإبدال :

عُرِّف الإبدال عند القدماء بأنه: (جعل حرفٍ مكان حرفٍ آخر مطلقًا)[٣٤] . وعند المحدثين: (مصطلحٌ صرفيٌّ يطلق على التَّغيُّرات التي تقع في الأصوات ، وهو مصطلح صوتيٌّ أيضًا ؛ فالإبدال الذي يقع في الأصوات فرعٌ من علم الصَّرف، والأصوات مادَّة البحث فيه، فعلم الصرف موضوعه بحث بنية الألفاظ، والأصوات لِبَن البنية)[٣٥].

ومن خلال التعريفين نستنبط أن لافرق بين التعريفين فكلاهما ذكر بأنه تغيير يحدث في الحروف أو الأصوات إلا أن تعريف المحدثين ربطه بالأصوات " المصطلح الحديث للحروف " ؛ لأنَّها تعدُّ اللَّبنة الأولى فيه . والآن نود أن نعرف كيف عالج القدماء ظاهرة الإبدال في وزن "افْتَعَل" .

أولاً : رأي القدماء :

أ- إبدال التاء من الواو :

تنصُّ القاعدة الصرفية عند على أنه : إذا كانت الواو والياء فاءً للافتعال غير مبدلتين من همزةٍ ، أبدلت فاء الافتعال تاءً ، وأدغمت التَّاء المنقلبة في تاء الافتعال[٣٦]، وكذلك الحال في باقي صيغة الافتعال كالمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر. مثل: "اتَّصَل". أصلها: "اوْتَصَل". وقعت الواو فاء لوزن "افْتَعَل" غير مبدلةٍ من همزٍ فأبدلت الواو تاءً فأصبحت: "اتْتَصل" اجتمع لدينا حرفان من جنسٍ واحدٍ ؛ الأوَّل ساكنٌ والثَّاني متحرِّكٌ فأُدغما وأصبحا حرفًا واحدًا مشدَّدًا فأصبحت : " اتَّصل " .

٣٣- **علم الصوتيات** ، [بدون طبعة] الرياض : مكتبة الرشد ؛ ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م ، ص٥٣-٥٤

٣٤- الشيخ خالد زين الدين بن عبد الله الأزهري ، **التصريح بمضمون التوضيح** ، دراسة وتحقيق : د . عبد الفتاح بحيري إبراهيم ، الطبعة الأولى ، [بدون مدينة نشر] ؛ الزهراء للإعلام العربي ؛ ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م ، ٣٦١/٥ ؛ الشيخ أحمد الحملاوي ، **شذا العرف في فن الصرف** ، دققه وعلَّق عليه : الدكتور عبد الحميد هنداوي [بدون طبعة] ، بيروت : منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية ؛ ٢٠٠٤م = ١٤٢٤هـ ، ص١٨٢؛ د . صباح عبدالله محمد بافضل ، **الإعلال بين النظرية والتطبيق** ، الطبعة الأولى ، جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ؛١٤١٨هـ= ١٩٩٧م،ص٤.

٣٥- محمود عكاشة ، **التطور الصوتي في الألفاظ أسبابه وظواهره** ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار النشر للجامعات ، ٢٠٠٩ م ، ص١٥.

٣٦- الأزهري ، التصريح ، ٢/ ٧٣٦؛ الحملاوي ، شذا العرف ، ص٢٠١ ، بافضل ، الإعلال ، ص١٠٥ .

ومثال الياء : "اتَّسر" . أصلها : "ايْتَسَر" . وقعت الياء فاء لوزن " افْتَعَل " غير مبدلةٍ من همزٍ فأبدلت الواو تاءً فأصبحت : " اتْتَسَر " اجتمع لدينا حرفان من جنسٍ واحدٍ الأوَّل ساكنٌ والثَّاني متحرِّكٌ فأُدغما وأصبحا حرفًا واحدًا مشدَّدًا فأصبحت : "اتَّسر" ؛ طلبًا للخفَّة ؛ لكي يقف على الحرفين المتجانسين وقفةً واحدةً .

والسبب في قلب الواو والياء تاءً ؛ أنه لو لم تقلب لتغيَّرت لتغيُّر أحوال ما قبلها ، إذ لزمهم أن يقلبوها ياءً إذا انكسر ما قبلها ، وألفًا إذا انفتح ما قبلها ، وواوًا إذا انضم ما قبلها ، فلما رأوا ذلك قلبوها إلى التاء ؛ لأنها حرف قوي لا يتأثَّر بأحوال ما قبله ، وهو قريب المخرج من الواو ، وفيه همسٌ مناسبٌ للين الواو[٣٧]

وقد علَّل الأزهريُّ لذلك بقوله : " أبدلت التاء من الواو ؛ لعسر النطق بحرف اللين الساكن (الواو) مع التاء ؛ لما بينهما من قرب المخرج ومنافاة الصفة"[٣٨] . كما علَّل الأشموني الإبدال هذا بالتَّضاد بين صفات الأصوات ، يقول : (إذا كان فاء الافتعال حرفَ لينٍ وجب في اللُّغة الفصحى إبدالها تاءً فيه وفي فروعه ؛ لعسر النُّطق بحرف اللِّين السَّاكن مع التَّاء لما بينهما من مقاربةِ المخرج ومنافاةِ الوصف ؛ لأن حرف اللِّين من المجهور ، والتاء من المهموس)[٣٩] ، وهذا التعليل متعارضٌ مع تعليل ابن يعيش ؛ إذ يصف الواو بأنها ليِّنة .

ب : إبدال الطَّاء من التَّاء :

تنصُّ القاعدة على أنه : إذا كانت فاء الافتعال صادًا أو ضادًا أو طاءً او ظاءً (وتسمى حروف الإطباق)[٤٠] أبدلت تاء الافتعال طاءً في التَّصاريف جميعها[٤١] ، وعلَّل الأزهريُّ لذلك بقوله : (وإنَّما أبدلت تاء الافتعال إثر المطبق طاءً ؛ لاستثقال اجتماع التاء مع الحرف المطبق ؛ لما بينهما من اتِّفاق المخرج وتباين الصفة ؛ إذ التاء من حروف الهمس ، والمطبق من حروف الاستعلاء ؛ فأبدل من التَّاء حرف استعلاء من مخرج المطبق واختيرت الطَاء ؛ لكونها من مخرج التَّاء)[٤٢] .

ــ مثال لما كانت فاء الافتعال صادًا :

مثــل : " اصْطَبَر " أصلها : " اصتبر " وقعـــت الصَّاد فاءً لوزن "افْتَعَــل" ، فأبدلـــت التـــَّاء طاءً فأصبحــت "اصْطَبَر "

٣٧- ابن يعيش ، شرح المفصل ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية ؛ ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م ، ٥/ ٣٩٣- ٣٩٤.

-٣٨ خالد الأزهري ٢/ ٧٣٦ .

٣٩- نور الدين علي بن محمد الأشموني ، **شرح الأشموني** ، تحقيق : أحمد محمد عزوز ، الطبعة الأولى ، بيروت : المكتبة العصرية ؛ ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م ، ٣/ ٣١٦ .

٤٠- سميت بذلك ؛ لانطباق اللسان معها على الحنك الأعلى ؛ فينحصر الصوت حينئذٍ بين اللسان وما حاذاه من الحنك الأعلى ، انظر الأزهري ، شرح التصريح ، ٥/ ٤٤٦ .

٤١- السابق ، ٤٤٦/٥ ؛ الحملاوي ، شذا العرف ص ٢٠١، بافضل ، الإعلال والإبدال ، ص١٠٧ .

٤٢- شرح التصريح ، ٤٤٦/٥

. ولنا فيها وجهان : إما أن نبقيها كما هي ، وإما أن نقلب الطَّاء صادًا فتصبح " اصْصَبَر " ؛ فيجتمع لدينا حرفان من جنسٍ واحدٍ الأوَّل ساكنٌ ، والثَّاني متحرِّكٌ فيدغمان ويصبحا حرفًا واحدًا مشددًا فتصبح " اصَّبر "[٤٣] .

ـــ مثال لما كانت فاء الافتعال طاء :

" اطتهر " وقعت الطاء فاء لوزن افتعل فأبدلت التاء طاء فأصبحت : " اطْطَهر " ؛ فيجتمع لدينا حرفان من جنس واحد الأول ساكن والثاني متحرك فيدغمان ويصبحان حرفًا واحدا مشدَّدًا فتصبح : " اطَّهر ".

مثال لما كانت فاء الافتعال ظاء :

" اظْتَلم " وقعت الظاء فاء لوزن افتعل فأبدلت التاء طاء فأصبحت : " اظْطَلَم " ، ولنا بعد ذلك وجوه:

– إبقاؤها كما هي .

– إبدال الطاء ظاءً فتصبح "اظْظَلَم" . فيجتمع لدينا حرفان من جنس واحد الأول ساكن والثاني متحرك فيدغمان ويصبحان حرفًا واحدًا مشدَّدًا فتصبح : " اظَّلم " .

– إبدال الظاء طاء فتصبح "اطْطَلَم" . فيجتمع لدينا حرفان من جنس واحد الأول ساكن والثاني متحرك فيدغمان ويصبحان حرفًا واحدًا مشدَّدًا فتصبح : " اطَّلم "[٤٤] .

ج : إبدال الدال من التاء :

تبدل تاء الافتعال دالاً إذا كانت فاء الافتعال دالاً أو ذالاً أو زايًا ؛ "لاستثقال مجيء التاء بعدها "[٤٥].

ـــ مثال لما كانت فاء الافتعال دالًا :

" ادْتَخَر " وقعت الدال فاء لوزن افتعل ؛ فأبدلت التاء دالاً ، فأصبحت : " ادْدَخَر " اجتمع لدينا حرفان من جنس واحد الأول ساكـــن والثاني متحرك فأدغما وأصبحا حرفًا واحدًا مشدَّدا فصارت : "ادَّخَر" .

ـــ مثال لما كانت فاء الافتعال ذالاً :

" اذْتَكَر " وقعت الذال فاء لوزن افْتَعَل ؛ فأبدلت التاء دالاً فأصبحت " اذْدَكر "، ولنا بعد ذلك وجوه :

– إبقاؤها كما هي .

– قلب الدال ذالاً فتصبح " اذْذَكَر ؛ فيجتمع لدينا حرفان من جنس واحد الأول ساكن والثاني متحرك فيدغمان ويصبحان حرفًا واحدًا مشددًا فيصبح : (اذَّكر) .

– قلب الذال دالاً فتصبح : " ادْدَكَر " فيجتمع لدينا حرفان من جنس واحد الأول ساكن والثاني متحرك فيدغمان ويصبحان حرفًا واحدًا مشددًا فيصبح : (ادَّكر) .

ـــ مثال لما كانت فاء الافتعال زايًا :

" ازْتَهَر " وقعت الزاي فاء لوزن افْتَعَل ؛ فأبدلت التاء دالًا فأصبحت " ازدهر :، ويجوز فيها وجهان :

٤٣– الأزهري ، التوضيح ، ٤٤٦/٥ ؛ الحملاوي ، شذا العرف ص ٢٠١، بافضل ، الإعلال والإبدال ، ص١٠٧ .

٤٤– المراجع السابقة والصفحات نفسها .

٤٥– خالد الأزهري ٥/ ٤٤٧.

– إبقاؤها كما هي .

– قلب الدال زايًا فتصبح " ازْزَهَر " ؛ فيجتمع لدينا حرفان من جنسٍ واحدٍ الأول ساكن والثاني متحرك فيدغمان ويصبحان حرفًا واحدًا مشددًا فيصبح : " ازَّهَرَ "(٤٦)

د : إبدال الميم من الواو :

تبدل الواو ميمًا وجوبًا في " فم " ، وأصلها " فوه " بدليل جمعها على " أفواه " ، والتكسير – كما نعلم –يرد الأشياء إلى أصولها ، والعلة في إبدالها أنهما من مخرج واحد ، هذا إن لم تضف إلى اسمٍ ظاهرٍ أو ضميرٍ ؛ فنقول : ابتسم فمٌ ، ونظفت فمًا ، ونظرت إلى فمٍ .

فإن أضيف إلى ضمير أو إلى اسم ظاهر عادت الواو فنقول ، ابتسمَ فوك أو فو أخيك ، ونظف فاك أو فا طفلك ، ونظرت إلى فيه أو إلى في صديقك .

ويجوز إبقاء الميم مع الإضافة ومن ذلك قول النبي ﷺ (وَالَّذي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَخُلُوْفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ)(٤٧) . ومنه أيضًا قول رؤبة :

* يُصْبِحُ ظَمْآن وفِيْ الْبَحْرِ فَمُه *(٤٨)

ه : إبدال الميم من النون :

تبدل الميم من النون بشرطين :

١– أن تكون النون ساكنة .

٢– أن يليها الباء .

سواء كانت في كلمةٍ واحدة مثل قوله تعالى : ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾(٤٩) ، أم في كلمتين مثل قوله

٤٦– الأزهري ، التوضيح ، ٤٤٧/٥ ؛ الحملاوي ، شذا العرف ، ص ٢٠١، بافضل ، الإعلال والإبدال، ص١٠٨– ١٠٩

٤٧– الحديث أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي في **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه** ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، الطبعة الأولى ، [بدون مكان نشر] : ، دار طوق النجاة مصورة من السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ؛ ١٤٢٢ه ، كتاب الصوم ،٢٤/٣ ؛ مسلم بن حجاج ، **صحيح مسلم** ، تحقيق : نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة ، الطبعة الأولى ، [بدون مكان نشر] : دار طيبة ؛١٤٢٧ه = ٢٠٠٦م ، كتاب الصيام ٥١١/١ ؛ مالك بن أنس ، **موطأ مالك** ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مصر : مصطفى البابي الحلبي ؛ ١٤٠٦ه=١٩٨٥م ، كتاب الصيام ، ٣١٠/١ .

٤٨– لبيت في ديوان رؤبة انظر : **مجموع أشعار العرب المشتمل على ديوان رؤبة** ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البردسي ، [بدون طبعة] ، الكويت : دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ؛ [بدون تاريخ نشر] ، ص١٥٩؛ وفي أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، **المسائل المشكلة المعروف بالبغداديات** ، تحقيق : د . يحيى مراد ، الطبعة الأولى ، بيروت : لبنان : منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية ؛ ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م ص٤٥ ؛ و في جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي ، **شرح التسهيل** ، تحقيق : د . عبد الرحمن السيد ود محمد بدوي المختون ، [بدون طبعة] ، [بدون مكان نشر] : دار هجر ؛ [بدون تاريخ نشر] ؛ وفي الشيخ خالد الأزهري ، شرح التصريح ،٢١٩/١ ؛ عبد القادر بن عمر البغدادي ، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** ، تحقيق وشرح أ . عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، مصر : مكتبة الخانجي ؛ ١٤٠٢ه=١٩٨١م ، ٤٥١/٤، ٤٥٤.

تعالى : ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[٥٠] ، مع ملاحظة أن ذلك يكون شفويًّا لا كتابيًّا ، وهو مايُعْرَف في علم التجويد بالإقلاب .

وممَّا جاء في الشعر من إبدال النون ميمًا من غير سبب قول رؤبة :

يَا هَالَ ذَاتَ الْمَنْطِقِ التَّمْتَامِ
وكَفِّكِ الْمُخَضَّبِ الْبَنَامِ[٥١]

وجاء عكس كذلك جاء إبدال الميم نونًا مثل قولهم في وصف الشَّعَر: (أسود قاتن) يعني : (قاتم) فأبدل الميم نونًا[٥٢] .

ثانيًا : رأي المحدثين :

ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين في باب الإدغام أنه يحدث في الأصوات المتماثلة، ولكن في (حال التباعد بين الصوتين ينطق كل منهما كما هو بكل خصائصه ، دون أدنى تغيير ، ناشئٍ عن التجاور .

أما في حالة التجانس أو التقارب فإن أحد الصوتين يؤثر في الآخر ، ويمنحه شيئًا من خصائصه ، وكل خصائصه ، وذلك ما يعرف في صورتيه بظاهرة المماثلة)[٥٣] .

وفي سؤاله عن أي الصوتين يؤثر في الآخر أجاب : (إنه الصوت الذي يكون في الموقع الأقوى . . .) ، وقوة الموقع لديه تعني لديه : أن يكون الصوت متلوًّا بحركةٍ غير قابلةٍ للسقوط ؛ إمَّا لكونها طويلة ، (وإمَّا لأن حركةً سابقة عليها سقطت فيمتنع إسقاط الأخرى ؛ لأنها تزداد تشبثًا بموقعها ، وتمنح الصوت قبلها قوةً موقعيَّةً يفرض بها تأثيره على الصوت السابق عليه غير ذي الحركة)[٥٤] .

وأخيرًا أكَّد على أنه يجب إيجاد (علاقة صوتية بين الصوتين المتجاورين ؛ ليتم التأثير إبدالاً أو مماثلة . هذه العلاقة ترجع إلى اعتبارين أساسيين :

الأول : تقارب المخرج أو اتحاده .

والثاني: كون الصوتين المتجاورين من مجموعة واحدة من الصوامت أو الحركات . فلا يمكن أن يؤثر صوت في آخر بعيد عنه مخرجًا ، كما لا يصحُّ القول بأن صوتًا من جنس الصوامت يبدل من جنس الحركات ، فشتـــان بين المجموعتين من كل جانب)[٥٥] .

٤٩- سورة الشمس آية ١٢ .

٥٠- سورة يس ، آية ٥٢

٥١- البيت في ديوان رؤبة ، ص١٤٤ ؛ أبو الفتح عثمان ابن جني ، **سر صناعة الإعراب** ، تحقيق : الدكتور حسن هنداوي ، الطبعة الأولى ، دمشق : دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ؛ ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م ، ٤٢٢/١؛ ابن يعيش ، شرح المفصل ، ٣٣/١٠ ؛ الأزهري ، شرح التصريح ، ٤٥١/٥ .

٥٢- الأزهري ، التوضيح ، ٤٤٧/٥ ؛ الحملاوي ، شذا العرف ص ٢٠١، بافضل، الإعلال والإبدال، ص١٠٨- ١٠٩ .

٥٣- المنهج الصوتي ، ص٢٠٨ ؛ د. فوزي الشايب ، **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة** ، الطبعة الأولى ، الأردن : عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ؛ ١٤٢٥ه=٢٠٠٤م ، ص١٩٠ .

٥٤- المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

٥٥- المنهج الصوتي ، ص٢١٠-٢١١ .

وهناك نوعان من المماثلة رجعية ، وهي التي يؤثر فيها الصوت الثاني في الأول وحينئذٍ يكون التأثير كالتالي :

(١) ⟵ (٢) مع أن اتجاه النطق بعكس اتجاه التأثير (١)⟵(٢)⟵ (٣).

ومماثلة تقدميَّة حيث يؤثر الأول في الثاني فيتحد اتجاه التأثر مع اتجاه النطق بهذه الصورة:

(١) ⟵ (٢) ⟵ (٣)[٥٦].

وقد ذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أنه (يغلب على العربية أن يتأثَّر الصوت الأول بالثاني)[٥٧] ، وهو ما أيده الدكتور أحمد مختار عمر ، واستثنى من ذلك مالم يكن الصوت الأول أقوى فقال : (والشائع في لغة العرب هو التأثر الرجعي إلا في حالة ما إذا كان الأول أقوى (مجهور – مفخم) فإنه يجوز أن يكون من التأثير التقدمي ، وقد اجتمع النوعان في كلمة "اذْتَكَر" التي اجتمع فيها الذال، هو صوت مجهور بالتاء وهي صوت مهموس فبعض العرب يُجْهِر التاء فيصبح دالاً "تقدمي" ثم يدغم الذال في الدال ادَّكَر "رجعي"، ولكن بعضًا آخر يُدغم الدال فيقول : اذَّكَر " تقدمي "[٥٨] ، وقد وافقه الدكتور فوزي الشايب في جزء من كلامه ، وخالفه في جزء آخر فقال : (وفي الواقع : إن الشِّقَّ الأول من كلام الدكتور أحمد مختار عمر صحيح تمامًا ، أما الشِّقُّ الأخير فغير صحيح على إطلاقه ؛ لأن قوة الصوت المؤثر تتبع عمومًا من شيئين :

١. من موقعه في المقطع .
٢. من وضعه بالنسبة إلى النبر .

فالصوت الذي يقع في بداية المقطع أقوى من ذاك الذي يشكل نهاية المقطع ، والصوت الذي يقع عليه النبر أقوى من غير المنبور ، ولا دخل للجهر ولا التفخيم ، في هذا الأمر ، وإنَّما هما مجرد عاملين مساعدين ، ورأي الدكتور أحمد مختار عمر مبني – على كل حال – على فرضيَّةٍ خاطئة هي الاعتقاد بأن قلب "التاء" في صيغة افْتَعَل " طاء" بعد المطبق، ودالاً بعد الزاي والذال والدال ناجم عن قوة الصوت المفخَّم والمجهور في نحو : اصْتَلَح ⟵ اصْطَلَح ، وازْتَهَر⟵ ازْدَهَر .

وهذا اعتقاد مجانب للصواب ؛ ذلك أن تأثر التاء بهذه الأصوات قد حصل قبل حدوث عملية القلب المكاني في هذه الصيغة ، فمن المعروف أن صيغة "افْتَعَل" منقلبة عن "ائْتَفَعَل"[٥٩] .

(وعليه فالأصل في اصْطَلَح هو : ائْتَصَلَح اطْصَلَح ثم بالقلب المكاني : اصْطَلَح ، وكذلك بالنسبة ، لـ "ازْدَهَر" فالأصل فيها هو : ائْزَهَر ادْزَهَر ثم بالقلب المكاني تصبح : ازْدَهَر .

---

[٥٦]– المرجع السابق ، ص٢٠٩

[٥٧]– اللهجات العربية ، [بدون طبعة] ، القاهرة : دار الفكر العربي ومطبعة الرسالة ؛ [بدون تاريخ نشر] ، ص ٥١.

[٥٨]– دراسة الصوت اللغوي ، ص٣٨٨

[٥٩]– أثر القوانين الصوتية ، ص٦٥ ، ص٢٠٠

ولو أن الأمر كما ذهب إليه الدكتور أحمد مختار عمر والقدماء لكان ينبغي لـــ"ازْتَهَر" مثلًا أن تصبح "اسْتَهَر"

ولـــ "اصْتَلَح" أن تصبح "اسْتَلَح" ؛ لأن التاء في كلتا الحالتين أقوى من الصاد والزاي ؛ لكونها في بداية مقطع ، ولكونها منبورة . وقد كان للدكتور داود عبده فضل السبق إلى هذا الرأي)[٦٠] .

وعلى هذا الأساس بدأ الدكتور فوزي الشايب يفصل نظريته التي تبنَّاها من الدكتور داود عبده وسأعرض الحالات المتعلقة بالإبدال فقط:

١- **(مماثلة تاء الافتعال لما بعدها :**

أ- تتأثر تاء الافتعال بالطاء بعدها فتصبح طاءً مثلها ثم تدغم الطاء في الطاء ، ففي بناء "افْتَعَل" من "طلب" مثلاً ، الأصل فيها هو "اتْطَلَب" ؛ لأن "افْتَعَل" مقلوب عن "اتْفَعَل" . وهنا تأثرت التاء الضعيفة ؛ لكونها تشكِّل نهاية مقطع بالطاء القوية ؛لأنها تشكِّل بداية مقطع ، ولأنها منبورة أيضًا ، ومن ثم تصبح طاءً مثلها، ثم تدغم الطاء في الطاء فتصبح الصيغة "اطَّلَب" .

ب- تتأثر تاء الافتعال بالدال بعدها فتصبح دالاً، نحو بناء "افْتَعَل" من "دان" و"دعا" حيث نقول : ادَّان وادَّعى ، والأصل: ادْتَان وادْتَعى. فتأثَّرت التاء بنظيرها المجهور الأقوى ، فأصبحت دالاً ثم أدغمت الدَّال في الدَّال ، ومن هنا جاءت ادَّان ، وادَّعى ونحوهما . . .

د- تتأثر التاء بالذال بعدها فتصبح ذالاً وذلك نحو اذَّكر ، والأصل "اتْذَّكر" الذي قد تتطوَّر باتجاهين :

أ. اتْذَّكر ← اذَّكَر بتحوُّل التاء إلى ذال .

ب. اتْذَّكَر ← ادْدَكَر بتحوُّل " التاء إلى نظيرها المجهور أي الدال .

وعلى الوجه الأول نفسر قراءة الحسن (١١٠ه) "واذَّكر بعد أمَّةٍ"[٦١] ، وهو مذَّكر ، قال سيبويه : " ومن قال مطَّعن قال : مُذَّكِر ، وقد سمعناهم يقولون ذلك[٦٢] ، وقال الفراء : "وبعض بني أسد يقولون :"مُذَّكِّر" فيغلِّبون الذال فتصبح ذالاً مشدَّدة "[٦٣] ، وقال ابن جني : قال بعضهم في ادَّكَر اذَّكَر)[٦٤] . . .

٦٠- **دراسات في علم أصوات العربية** ، الطبعة الأولى ، جدة : دار جرير للنشر والتوزيع ؛ ٢٠١٠م ، ص٩٥.

٦١- الشيخ أحمد البنا ، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر** ، تحقيق : د . شعبان محمد إسماعيل ، الطبعة الأولى بيروت : عالم الكتب ، القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ؛ ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م ،١٤٨/٢ ؛ الشيخ عبد الفتاح القاضي ، **القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب** ، [بدون طبعة] ، بيروت لبنان : دار الكتاب العربي ؛١٤٠١ه=١٩٨١م ، ص٥٧ .

٦٢- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه، **الكتاب** ، تحقيق : الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، بيروت : عالم الكتب ؛ ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م ، ٤٦٩/٤ .

٦٣- **معاني القرآن** ، تحقيق : د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي والأستاذ علي النجدي ناصف ، الطبعة الثالثة ، بيروت : عالم الكتب ؛ ١٤٠٣ه=١٩٨٣م ، ١٠٧/٣ .

٦٤- سر الصناعة، ١٧٢/١.

(٢- تأثر الدال بالزاي بعدها :

تتأثر الدَّال بالزَّي بعدها فتصبح زايًا ؛ فعندما نبني من"زان" "افْتَعَل" نقول : ازْدَان ، والذي يقول : ازَّان ؛ إنما يحصل التأثر عنده في الصورة الأصليَّة قبل القلب المكاني ، أي : اتْزَان ← ادْزَان ← ازَّان ، ولو كان الأمر كما وصف القدماء بأن الأصل هو "ازْدَان" لكان ينبغي أن تتأثَّر الزَّاي بالدَّال فتصبح "ادَّان".

قال سيبويه : "ومن قال مصَّبِر قال مزَّان"[٦٥] ، وقال ابن جني : " وقالوا اصَّبَر في اصْطَبَر وازَّان في ازْدَان[٦٦]) ثم أكمل د . فوزي كلامه وقال : (وهذا التصور عندنا غير صحيح ألبتة) . . .[٦٧]

(٤- تأثر الطاء بما بعدها :

أ- تأثر الطاء بالصاد .

تتأثر الطاء بالصاد بعدها في الصيغة الأصليَّة لصيغة "افتعل" ، وهي "اتْفَعَل" فتقلب صادًا ثم تدغم الصاد في الصاد . فعند بناء ""افْتَعَل" من "صَبَر" نقول : "اصْطَبَر" ، والأصل قبل القلب المكاني ، وقبل التأثُّر "اتْصَبَر" ثم تتأثَّر التاء بالصاد فتصبح مطبقةً مثلها هكذا اطْصَبَر ، ثم تتأثَّر الطاء بالصاد بعدها فتصبح صادًا ثم تدغم الصاد في الصاد ، ومن هنا نحصل على "اصَّبَر" . قال سيبويه : "وأراد بعضهم الإدغام حيث اجتمعت الصاد والطاء فلما امتنعت الصاد أن تدخل في الطاء قلبوا الطاء صادًا فقالوا : مُصَّبِر"[٦٨] ، وقال ابن جني : "وقالوا : اصَّبَر في اصْطَبَر"[٦٩] .

وقد قرأ بعضهم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾[٧٠] ، وجاء في الحديث : " إنَّا اصَّدنا حمار وحش"[٧١] ، وقال الفراء : " سمعت بعض بني عقيل يقول : عليك بأبوال الظباء فاصَّعطها فإنها شفاء للطحل " يريد اصطعطها.[٧٢] .

ب-تأثر الطاء بالضاد بعدها .

تتأثَّر الطَّاء بالضَّاد بعدها فتصبح ضادًا ثم تدغم الضَّاد في الضَّاد ، وذلك نحو قولهم : "اضَّجَع" والأصل : "اتْضَجَع" اطْضَجَع ← اضَّجَع ، وهو "مضَّجِع" . قال سيبويه : "ومن ذلك : "مُضَطَجِع" ، وإن شئت

٦٥- الكتاب ، ٤٦٨/٤

٦٦- سر الصناعة ، ١٧٢/١ ، وتتمة الكلام " وازَّار في ازدار "

٦٧- سأعلق على هذا الرأي لاحقًا .

٦٨- الكتاب ، ٤٦٧/٤

٦٩- سر الصناعة ، ١٧٢/١

٧٠- سيبويه ، الكتاب ، ٤٦٧/٤ ؛ ابن جني ، سر الصناعة ،١٧٢/١ ؛ ابن جني ، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات** ، تحقيق : الأستاذ علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، الطبعة الثانية ، [بدون مدينة نشر] : دار سزكين للطباعة والنشر ؛ ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م ، ٢٠١/١ ، والآية من سورة النساء آية ١٢٨.

٧١- انظر : ابن منظور ، اللسان ، مادة : ص.ي.د ٢٦١/٣ ؛ لم أجد الحديث في صحيح البخار ي ؛ ولا مسلم ولا النسائي .

٧٢- الفراء ، معاني القرآن ، ٢١٦/١

قلت مضَّجِع"[٧٣] . وقد ذكر ابن جني : اضَّرَب ومضَّرب[٧٤] . وقال ابن يعيش : "وقالوا اضَّرَب واضَّجَع ، ويَضَّرِب فهو مضَّرِب ومُضَّجِع"[٧٥] .

ج. تأثر الطاء بالظاء بعدها .

تتأثَّر الطَّاء بالظَّاء بعدها فتصبح ظاءً ثم تُدغم الظَّاء في الظَّاء نحو : مُظَّعِن ومُظَّلِم ، واظَّعَن واظَّلَم والأصل في الصيغة قبل القلب وقبل التأثر :

اتْظَعَن ← اطْظَعَن ← اظَّعَن

اتْظَلَم ← اطْظَلَم ← اظَّلَم

وقد رُوِي بيت زهير بن أبي سُلمى (٦٠٩م):

هُوَ الْجَوَادُ الَّذي يُعْطِيْكَ نائِلَهُ عَفْوًا ، ويَظْلِمُ أحيانًا فَيَظْطَلِمُ[٧٦]

بعدَّة أوجه قال ابن يعيش : "ويُروَى فيَظَّلِم على حد اصَّبَر ... وهو شاذٌ في القياس وإن كان كثيرًا في الاستعمال ، ويُرْوَى فيَطَّلِم بالطاء غير المعجمة ...ويروى فينْظَلِم بنون المطاوعة"[٧٧] .

والذي نحب تأكيده هنا أن القول بأن "يَظَّلِم" شاذ في القياس – على ما قالوا – إنَّما يكون صحيحًا لو كان الأصل "يَظْطَلِم" كما تصوَّرا ، أمَّا على أنه في الأصل "فيَطْظَلِم" فهو قياسي تمامًا ؛ إذ تأثَّر الأول بالثاني على حسب القاعدة التي تقول : إنَّ الأصل في الإدغام أن يتبع الأوَّل الآخر[٧٨]) ...

ب. تتأثر الظاء في "افْتَعَل" بالطاء بعدها فتصبح طاء ، وذلك نحو : اظْطَلَم اطَّلَم ، ومُظْطَعِن ← مُطَّعِن ، ويقارن سيبويه بين مُطَّعِن ومُطَّلِم فيقول :"وأقيسهما مُطَّعِن ومُطَّلِم ؛ لأن الأصل في الإدغام أن يتبع الأوَّل الآخر"[٧٩] .

ج. تتأثر الضاد بالطاء بعدها فتصبح طاءً ، وذلك نحو : مُضْطَجِع ← مُطَّجِع . قال سيبويه : "وقد قال بعضهم مُطَّجِع"[٨٠] . ومن هذا القبيل قراءة ابن محيصن (١٢٣هـ) "ثم أطَّره"[٨١] من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ

٧٣- الكتاب ،٤٧٠/٤

٧٤- سر الصناعة ،٢١٨/١

٧٥- شرح المفصل ،٤٧/١٠ . ذكر د . فوزي أن مابين القوسين عبارة ابن يعيش ، وما وجدته فيه قوله : "ومن العرب من تبدل التاء إلى ما قبلها فتقول : اصَّبَر ويَصَّبِر ، واضَّرَب ويَضَّرِب وقرئ (أن يصَّلحا) " وهو منقول من ابن جني ونصَّ ابن يعيش على ذلك .

٧٦- البيت في **ديوان زهير بن أبي سلمى** ، تحقيق : علي حسن فاعور ، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان : دار الكتب العلمية ؛ ١٤٠٨ه=١٩٨٨م ، ص١١٥ ؛ سيبويه ، الكتاب ، ٤٦٨/٤ ؛ ابن جني ، سر الصناعة ، ٢١٩/١ ؛ ابن جني ، المنصف ، ٢/ ٣٢٩ ؛ شرح المفصل ٤٧/١٠ ؛ الأزهري ، شرح التصريح ٤٤٨/٥،

٧٧- المصدر السابق والصفحة نفسها .

٧٨- سيبويه ، الكتاب ، ٤٦٩/٤

٧٩- المصدر السابق والصفحة نفسها .

٨٠- المصدر السابق /٤٧٠/٤

٨١- ابن جني ، المحتسب ،١٠٦/١

النَّار ﴾[٨٢] ، وقرأ أيضًا : "فَمَنِ اطَّرَّ"[٨٣] من قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ [٨٤] ، وقال الراجز:

لَمَّا رَأَى أَنْ لا دَعَهْ ولا شَبَعْ

مَالَ إِلَى أَرْطَأَةِ حِقْفٍ فاطَّجَع[٨٥]

ويُرْوَى : فالْطَجَع ، وفاضْطَجَع[٨٦]) ، ثم أكمل د . فوزي كلامه فقال : (ومماثلة الضاد للطاء غير مرضي عنها عند اللغويين . ولهذا فقد عاب أبو جعفر النحاس قراءة ابن محيصن وعدها لحنًا قال : "وهو لحن ؛ لأن الضاد فيها تفشٍّ فلا تدغم في شيء"[٨٧] ، أما ابن جني فقال: "وهذه لغة مرذولة أعني إدغام الضاد في الطاء ، وذلك لما فيها من الامتداد والفشو فإنها من الحروف التي يدغم فيها ما يجاورها ، ولا تدغم هي في ما يجاورها . . . وذلك لأنه قد حكي إدغام الضاد في الطاء في قولهم اضْطَجَع : اطَّجَع"[٨٨])[٨٩].

حقيقة أنا اكتفيت برأي د . فوزي ؛ لأنه رأي جديد بينما غيره من المحدثين كانت لهم وجهة نظر لا تبتعد كثيرًا عن وجهة نظر القدماء . إلا أن لي رأيًا سأعرضه مع غيره من المحدثين بعد قليل ؛ لتتضح الصورة .

ثالثًا : رأي الباحثة :

يتلخص رأي الدكتور فوزي فيما يلي :

- يغلب التأثير الرجعي بين الأصوات .
- قوة الصوت المؤثر تنبع من شيئين :

١. من موقعه في المقطع .

٢. من وضعه بالنسبة إلى النبر .

- في صيغة "افْتَعَل" قلب مكاني وأصلها "اتْفَعَل" سأطبق هذه النظرية على الأحوال لنرى ذلك وأبدأ أولا بـــ :

أـــ إبدال التاء من الواو :

اوْتزن بعد القلب المكاني ⟵ اتْوَزَن موقع التاء في نهاية المقطع والواو في أول المقطع ، والنبر وقع على الواو وعلى رأي الدكتور الشايب التأثير رجعي فيجب قلب التاء واوًا .

بالنسبة للمحدثين تدور التغيرات الصوتية بين صوتين هما : الواو : تخرج من بين الشفتين[٩٠] ، مجهور[٩١]، احتكاكي ، مرقق ،

٨٢- سورة البقرة آية ١٢٦ .

٨٣- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، إعراب القرآن ، تحقيق : د . زهير غازي زاهد ، الطبعة الثانية ، مصر : عالم الكتب ومكتبة النهضة المصرية ؛ ١٤٠٥ه=١٩٨٥م ، ٧/٢

٨٤- سورة المائدة آية ٣ .

٨٥- نسب الشيخ خالد الأزهري البيت لمنظور بن حية الأسدي انظر شرح التصريح ، ٣٦٤/٥ ؛ أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، ، تحقيق :محمد علي النجار ، [بدون طبعة]، بيروت لبنان : دار الكاتب العربي [بدون تاريخ نشر] ، ٦٣/١، ٢٦٣ ، ١٦٣/٣ ؛ ابن جني المنصف ، ٣٢٩/٢ ؛ ابن جني ، المحتسب ، ١٠٧/١ ؛ شرح شافية ابن الحاجب ، ٣٢٤/٢ ، شرح المفصل ٤٧/١٠ ؛ شرح الأشموني ، ٢٨٠/٤ ، ٣٣٢.

٨٦- ابن جني ، المحتسب ،١/ ١٠٦-١٠٧

٨٧- إعراب القرآن ، ٧/٢

٨٨- ابن جني ، المحتسب ،١/ ١٠٦

٨٩- فوزي الشايب ، أثر القوانين الصوتية ، ص٢٠٠ - ٢٠٦

٩٠- سيبويه ، الكتاب ، ٤٣٣/٤ ؛ ابن جني ، سر الصناعة_،٤٨/١ ؛ الإمام أبو الإصبع السُّماتي

رخو، والتاء : تخرج من أصول الثنيتين لثوي، مهموس، وقفي، مرقق ، شديد ؛ النتيجة بينهما تقارب في المخرج وتباعد في الصفة ؛ فأيهما أولى بالتغيير؟ حسب القاعدة التاء؛ لأن المجهور يتغلب على المهموس .

وحسب الواقع تغيرت الواو والتأثير هنا قبلي أو تقدمي ، والسؤال كيف حدث التغيير ؟! أجيب أن التغيير حدث ليحدث تناغم أو تناسق أو انسجام في بنية الكلمة العربية وهذا نـــوع من الموسيقى في البنيـــة؛ ليستطيـــع العربي النطـــق بها، ولو سارت حسب نظريَّة د.فوزي أو غيره من المحدثين حسب الصفة الأقوى لوجب قلب التاء واوًا .

وكذلك الحال فيما كانت فاؤه ياءً ؛ فالياء مخرجها الجوف بمشاركة وسط اللسان مجهور، احتكاكي، رخو، والتاء أسناني لثوي ، مهموس، وقفي، شديد فمخرجهما متقارب. والياء والتاء صفتهما مختلفة. ومع ذلك حسب قانون د.فوزي كان يجدر قلب التاء ياء ؛ إلا أنها الياء قلبت تاءً؛ ليحدث التناغم الموسيقي والانسجام في بنية الكلمة .

ب : إبدال الطاء من التاء

– مثال لما كانت فاء الافتعال صادًا : اصْتَبَر بعد القلب المكاني تصبح اتْصَبَر وقعت التاء في نهاية المقطع الأول ، والتاء أول المقطع الثاني والنبر عليها ؛ لذلك أصبح التأثير رجعيًّا فأصبحت اطصبر ، وللسبب نفسه يجوز إبدال الطاء صادا فيدغما ويصبحان حرفًا واحدًا مشددا والتأثير مازال رجعيًّا .

بالنسبة للمحدثين الآخرين نرى صفات كل حرف : الصاد صوت أسناني ، مهموس ، احتكاكي، استمراري، رخو ، مفخم ، صفيري، وصفة الصفير ليس لها صفة مقابلة ، كالهمس مثلا يقابله الجهر. التاء : صوت أسناني ، لثوي ، مهموس ، وقفي ، انفجاري ، شديد ، مرقق. الطاء : صوت أسناني لثوي ، مهموس، وقفي، انفجاري، شديد، مفخم . فنجد أن أصل الكلمة الصاد صوت مفخم جاء بعده التاء وهو صوت مرقق، فتأثرت التاء عندما جاورت صوتًا مفخَّمًا، فوجب قلبها إلى النظير المفخم وهو الطاء . وهذا تأثير تقدمي .

والوجه الآخر بعد قلب تاء الافتعال طاء جاز أن تؤثر صفة الاحتكاكية والصفير في الصاد في صفة الانفجارية في الطاء فتقلب الطاء صادًا ، وهذا أيضًا تأثير تقدمي ؛ فيجتمع لدينا حرفان من جنس واحد الأول ساكن ، والثاني متحرك فيدغمان وذلك طلبا للخفة ، ليقف على الصوتين المتجانسين وقفة واحدة ،فتصبح اصّبر.

الإشبيلي المعروف بابن الطَّحَّان ، **مخارج الحروف وصفاتها** ، تحقيق الدكتور محمد يعقوب تركستاني ، الطبعة الثانية ، [بدون مكان نشر] ؛ ١٤١٢هـ = ١٩٩١م ، ص١٢٠

٩١– المجهور هو : حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه ؛ حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت ، انظر : سيبويه : الكتاب ، ٤٣٤/٢، بولاق ٤٠٥/٢ ، ابن جني ، الصناعة ، ٦٠/١

ولا نستطيع إدغام الصاد في الطاء؛ لأن الصاد صفيري، ولا يدغم إلا في صفيري مثله ، فإذا أدغمت الطاء فارقته صفة الصفير .

عند قلب التاء طاء كلاهما حرفان مهموسان لكن التاء مرققة والطاء مفخمة لذلك أبدلت؛ لكن عند قلب الطاء صادًا كلاهما مهموس وكلاهما مفخم لكن لماذا أبدلت صادًا هذا هو السؤال ؟ أجيب لأن العرب يختلفون من قبيلةٍ إلى أخرى فمنهم يرى أن التناغم الصوتي يحدث لديه بإبدال تاء الافتعال طاء ، ومنهم من ذهب إلى أن التناغم والتناسق في بنية الكلمة يكون بإبدال الطاء صادا؛ فتتغلب صفة الاحتكاكية والصفير في الصاد على صفة الانفجارية في الطاء فيدغمهما؛ لينطق بهما اللسان دفعةً واحدة . إذن تتعلق المسألة ففي قلب التاء طاء أو بقلب الطاء صادا بالانسجام الصوتي في بنية الكلمة عند العرب بحسب اختلاف قبائلهم .

ـ مثال لما كانت فاء الافتعال ضادا : اضْتَرَب بعد القلب المكاني اتْضَرَب وقعت التاء في نهاية المقطع والضاد في أول المقطع والنبر على الضاد فلذلك تبدل التاء طاء فأصبحت اطْضَرَب وبمثل هذه القاعدة أيضًا يجوز إبدال الطاء ضاء فتدغمان فتصبح اضَّرَب .

بالنسبة لعلماء الأصوات المحدثين نرى صفات كل حرف: الضاد : أسناني، لثوي ، مجهور، وقفي، انفجاري، شديد، مفخم ، مستطيل. والاستطالة صفة تفرد بها الضاد ، وليس لها صفة مقابلة. والاستطالة هي : "اتساع مخرج الحرف، أي أن ما يأخذه الحرف المستطيل من العضوين اللذين يشتركان في مخرجه أكبر مما يأخذه الحرف غير المستطيل من ذينك العضوين "[٩٢]. التاء : صوت أسناني لثوي، مهموس، وقفي، انفجاري، شديد ، مرقق. الطاء : صوت أسناني لثوي ، مهموس، وقفي، انفجاري ، شديد ، مفخم. فتأثرت التاء عندما جاورت الضاد، وهو صوت مفخم ، فوجب قلبها إلى نظيرها المفخم ، وهو الطاء ، ولا نستطيع إدغام الضاد في الطاء ؛ لإن إدغامه يذهب عنه صفة الاستطالة وهي الصفة التي تفرد بها . فالتأثير هنا تقدمي .

أقول إن هذه الحروف الثلاثة اشتركت في تقارب المخرج والانفجار واختلفت في التفخيم فالطاء والضاد مفخمان بينما التاء مرققة ، والضاد مجهور والطاء والتاء مهموسان أليس من الأولى أن تبدل التاء ضادًا مباشرة ولا يحتاج إلى قلبها طاء؟ ، ولا نستطيع إدغام الضاد في الطاء؛ لإن إدغامها يذهب عنه صفة الاستطالة وهي الصفة التي تفرد بها . أقول : إن السبب في قلب التاء طاء عند بعضهم وقلب الطاء ضادًا عند آخرين هي التناغم الصوتي عند بعضهم يحدث بقلب التاء طاء فينطقونها اضطرب ، بينما الآخرون يحدث الانسجام الصوتي بقلب الطاء ضادًا حتى إن كانت متفقة مع قاعدة د. فوزي الشايب .

نأتي بعد ذلك إلى قلب الضاد طاء عند د . فوزي أصلها بعد القلب المكاني اطْضَرَب

---

[٩٢]– عبد الغفار هلال ، الصوتيات اللغوية ، ص ٢٤٧.

الطاء وقعت في نهاية المقطع والضاد في بداية المقطع الثاني ووقع النبر على الضاد والتأثير لديه ينبغي أن يكون رجعيًّا فكان القياس لديه تأثير الضاد في الطاء ؛ لكن هنا أبدلت الضاد طاء فالتأثير تقدمي ؛ لذلك علَّق على قراءة ابن محيصن "ثم أطَّرُه" بقوله " ومماثلة الضاد للطاء غير مرضي عنها عند اللغويين"[٩٣] ، واستشهد بكلام النحاس عندما عدها لحنًا[٩٤] ، وبكلام ابن جني عندما ذكر أنها لغة مرذولة[٩٥] . وحقيقة لاأدري لماذا ترد هذه القراءة ؟ والقراءة سنة متبعة أقرها الرسول ﷺ ، وما ذلك إلا لمخالفتها قوانينهم الصوتية متناسين أن القراءات إنما وُجِدت تيسيرًا للأمة ؛ ليستطيع كل أن يقرا بما يستطيعه ، واستطاعة القارئ أن يؤديها كما أداها ؛ لأن التناغم الصوتي أو الانسجام يحدث لديه كما أداها .

ـ **مثال لما كانت فاء الافتعال طاء** : اطْتَلَب ، بعد القلب المكاني اتْطَلَب وقعت التاء في نهاية المقطع والطاء في بداية المقطع الثاني ووقع النبر عليها ، والتأثير رجعي فقلبت التاء طاء وأدغمت الطاء في الطاء.

وعند علماء الأصوات المحدثين تدور التغيرات الصوتية حول حرفين : التاء: صوت أسناني لثوي ، مهموس ، وقفي ، انفجاري ، شديد ، مرقق . الطاء : صوت أسناني لثوي، مهموس، وقفي، انفجاري، شديد، مفخم . فنجد أن فاء الكلمة الطاء صوت مفخم ، جاء بعده التاء وهو صوت مرقق ، فتأثرت التاء عندما جاورت صوتًا مفخَّمًا وهو الطاء ، فوجب قلبها إلى النظير المفخم ، وهو الطاء ، فأصبحت اطْطَلب ؛ فالتأثير تقدمي ، ثم حدث الإدغام لاجتماع صوتين من جنس واحد، الأول ساكن ، والثاني متحرك ، وذلك طلبا للخفة ، فيوقف على الصوتين المتجانسين وقفة واحدة . فأصبحت اطَّلَب . وهذه لا خلاف فيها ؛ لأن فيها وجهًا واحدًا فقط .

لكن اختلافي معهم أن ذلك حدث بسبب التناغم الصَّوتي في بنية الكلمة ولا علاقة له بتلك القوانين الصوتية التي وضعوها .

ـ **مثال لما كانت فاء الافتعال ظاء** : اظْتَلَم بعد القلب المكاني اتْظَلَم التاء في نهاية المقطع الأول والظاء في أول المقطع الثاني ووقع النبر عليها والتأثير رجعي فأصبحت اظْظَلَم ، وللقاعدة نفسها –ومازال التأثير رجعيًّا – يجوز إبدال الطاء ظاءً فيصبح اظْظَلَم فتدغم الظاء في الظاء حسب القاعدة التي ذكرها سيبويه : إن الأصل في الإدغام أن يتبع الأول الآخر .

وعند المحدثين نرى أن التغييرات الصوتية في الأصوات الثلاثة هي : الظاء: أسناني (الأسنان مع اللسان) مجهور ، احتكاكي ، استمراري ، رخو ، مفخم . التاء : صوت أسناني لثوي، مهموس، وقفي، انفجاري، شديد، مرقق . الطاء : صوت أسناني لثوي، مهموس، وقفي، انفجاري، شديد، مفخم . فتأثرت التاء عند مجاورتها الصوت المفخم الظاء ، فوجب

٩٣– أثر القوانين الصوتية ، ص٢٠٦.

٩٤– إعراب القرآن ، ٧/٢.

٩٥– المحتسب ، ١٠٦/١.

قلبها إلى نظيرها المفخم وهو الطاء ، فأصبحت اظطلم ، وهنا التأثير تقدمي وبعد هذا التغيير تحدث النتائج الصوتية التالية :

أولا : إما أن تؤثر صفة الأسنانية اللثوية في الطاء في صفة الأسنانية في الظاء، فتتحول الظاء إلى طاء ، فتصبح اطْطَلَم ، وهنا التأثير رجعي ؛ فيجتمع لنا صوتان من جنس واحد ، الأول ساكن ، والثاني متحرك فيدغمان، فتصبح اطّلم .

ثانيا: إما أن تؤثر صفة الأسنانية في الظاء في صفة الأسنانية اللثوية في الطاء، فتتحول الطاء إلى الظاء، فتصبح اظْظَلَم وهنا التأثير تقدمي ، فيجتمع لدينا صوتان من جنسٍ واحد ، الأول ساكن والثاني متحرك ، فيدغمان ، فتصبح اظّلم ، فأدغموهما في اظّلم واطّلم ؛ طلبًا للخفة؛ لكي يقف على الصوتين المتماثلين وقفة واحدة.

لذلك يجوز قلب التاء طاء أو قلب الطاء ظاء وهذا شاذ في القياس وإن كان كثيرًا في الاستعمال[٩٦] ؛ لأن الأصل في الإدغام أن يتبع الأول الآخر[٩٧] .

بقي لدينا إبدال الظاء طاء على رأي د. فوزي الكلمة لدينا اطْظَلَم ، الطاء في آخر المقطع الأول والظاء في بداية المقطع الثاني ووقع النبر على الظاء ومع ذلك أبدلت الظَّاء طاء فالتأثير هنا تقدمي ، وما كان ذلك ليحدث إلا لأجل التناغم الموسيقي داخل بنية الكلمة ، ولآجل هذا التناغم الموسيقي يروى بيت الشاهد :

هُوَ الْجَوَادُ الَّذي يُعْطِيْكَ نائِلَهُ عَفْوًا ، وَيَظْلِمُ أحيانًا فَيَظْطَلِمُ

فيَنْظَلِم[٩٨] ، ولا أستطيع أن أعيب على الراوي ذلك أو أخطئه مع أنه مخالف للقاعدة ؛ لأن لسانه لا يستطيع أن ينطق بغير ذلك ؛ لأن الانسجام الصوتي أو الموسيقي لديه كذلك .

ج : إبدال الدال من التاء :

ـــــ مثال لما كانت فاء الافتعال دالًا :" ادْتَخَر " بعد القلب المكاني اتْدَخَر وقعت التاء في نهاية المقطع والدال في بداية المقطع الثاني ووقع النبر عليها ، والتأثير رجعي فقلبت التاء دالاً وأدغمت الدَّال في الدَّال .

وعند علماء الأصوات المحدثين تدور التغيرات الصوتية حول حرفين : التاء : صوت أسناني لثوي، مهموس ،وقفي ،انفجاري ، شديد ، مرقق . الدال : أسناني ،لثوي ، مجهور ، وقفي ، انفجاري ، مرقق.

الملاحظ هنا أن فاء الكلمة وهي الدال صوت مجهور ، والتاء صوت مهموس جاء بعدها ،فأثرت صفة الجهر في الدال في صفة الهمس في التاء ، فتحولت التاء إلى نظيرها المجهور وهو الدال ، واختيرت الدال لأنها تشارك التاء في المخرج ، وجميع الصفات عدا الهمس ، فالتاء هي النظير المهموس للدال ، فأصبحت ادْدَخَر فالتأثير هنا تقدمي وهذا هو الفرق بين

٩٦- ابن يعيش ، شرح المفصل ، ٤٧/١٠ .

٩٧- سيبويه ، الكتاب ، ٤٦٩/٤ .

٩٨- ابن يعيش ، شرح المفصل ، ٤٧/١٠ .

كلامهم وكلام د.فوزي . فتؤثر صفة الجهر في الدال على صفة الهمس في التاء ، فتقلب التاء دالا ، فيجتمع لدينا حرفان من جنس واحد الأول ساكن ، والثاني متحرك فيدغمان ؛ طلبا للخفة ، فيوقف على الصوتين المتجانسين وقفة واحدة ، فتصبح ادّخر .

ـــــ مثال لما كانت فاء الافتعال ذالاً : اذْتَكَر بعد القلب المكاني اتْذَكَر وقعت التاء في نهاية المقطع الأول ، والتاء في بداية المقطع الثاني ، ووقع النبر عليها فأبدلت التاء دالاً فأصبحت ادْذَكَر ، فالتأثير رجعي . ويجوز إبدال الدَّال ذالاً ، ومازال التأثير رجعيًّا .

بالنسبة للصوتيين المحدثين تدور التغيرات الصوتية في هذا الكلمة بين ثلاثة أصوات هي: الذال : وهو صوت أسناني ، مجهور ، احتكاكي ، غير مطبق . التاء : صوت أسناني لثوي، مهموس، وقفي ، انفجاري، شديد، مرقق. الدال : أسناني، لثوي، مجهور، وقفي، انفجاري، مرقق .

يلحظ هنا أن أصل فاء الكلمة ، وهي الذال من الأصوات المجهورة ، وقد تلتها التاء وهي مهموسة ، فأثرت صفة الجهر في الهمس، ومن ثم تحولت التاء إلى نظيرها المجهور وهو الدال ، والمبرر الصوتي لذلك هو اشتراكهما في المخرج والصفات الصوتية عدا الجهر والهمس . وبعد هذا التغيير تحدث النتائج الصوتية التالية :

أولًا : إما أن تؤثر صفة الأسنانية في صفة بين الأسنانية فتتحول الذال إلى دال ، وتدغم في الدال الثانية فتكون ادّكر . وهنا التأثير رجعي.

ثانيًا : إما أن تؤثر صفة ما بين الأسنانية في صفة الأسنانية فتتحول الدال إلى ذال ، وتدغم فيها الذال الأولى فتكون اذّكر.

ثالثا: وإما أن يظل التغيير الأول كما هو عليه فتتحول التاء إلى دال ، ويتوالى الدال بعد الذال "[٩٩]. وفي الحالة الثانية والثالثة يكون التأثير تقدُّميًّا .

وعند الدكتور فوزي ادْذَكَر وقعت الدال في نهاية المقطع الأول ، والذال في بداية المقطع الثاني ووقع عليها النبر ومع ذلك إلا أن الدال أثرت في الذال فأبدلت الذال دالاً فالتأثير هنا تقدمي وهو ما يخالف النظرية التي وضعها .

بحسب ماقدمنا أليس الجهر أقوى من الهمس ؛ لذلك أبدلت التاء دالًا ، والذال والدال مجهوران إذن يفترض بحسب القاعدة أن نكتفي بهذا القدر ، ولا يجوز إبدال الذال دالاً أو العكس ؛ لأنه لامزية لأحدهما على الآخر ، وفي رايي أن السبب في ذلك لإيجاد نوع من التناغم الموسيقي في أصوات بنية الكلمة أو الانسجام ؛ فبعض العرب لا يستطيع أن ينطق اذْتَكَر إلا اذْدَكَر لأن التناغم لديه بين الأصوات يحدث بهذه الطريقة ، وآخرون يجدون هذا الانسجام ينطقها ادَّكَر وعليها قراءة القرآن ، وبعضهم

-٩٩ حامد الشنبري ، **النظام الصوتي للغة العربية** ، الطبعة الثانية ، القاهرة : مركز اللغة العربية ؛ ٢٠٠٧ م ،٨٤ _٨٥.

لايستطيع قراءتها إلا اذَّكَر للسبب نفسه ، ومنها قراءة الحسن التي ذكرناها من قبل[١٠٠] ، وهذه لهجة بني أسد كما ذكر الفراء[١٠١] .

ـ مثال لما كانت فاء الافتعال زايًا : " ازْتَهَر " بعد القلب المكاني تصبح اتْزَهَر وقعت التاء في نهاية المقطع الأول والزاي في بداية المقطع ، ووقع النبر عليها ؛ لذلك أثرت فيها فأبدلت التاء دالاً ، والتأثير رجعي . وكلام الدكتور فوزي في إبدال الدال زايًا يحتاج إلى شرح حيث ذهب إلى أن : (الذي يقول : ازَّان ؛ إنما يحصل التأثر عنده في الصورة الأصليَّة قبل القلب المكاني ، أي :

اتْزَان ←ادْزَان ←ازَّان ولو كان الأمر كما وصف القدماء بأن الأصل هو "ازْدَان" لكان ينبغي أن تتأثَّر الزَّاي بالدَّال فتصبح "ادَّان)[١٠٢] ومعناه أن أصل الكلمة : ازْدَان بعد القلب أصبحت ادْزَان وقعت الدال في نهاية المقطع والزاي في أول المقطع والنبر وقع عليها فأبدلت الدال زايًا ، والتأثير رجعي ، فأدغمت في الزاي فأصبحت ازَّان ، ولو بقيت كما هي دون قلب لوجب إبدال الزاي دالاً ؛ لأن التأثير لديه رجعي .

بالنسبة للصوتيين المحدثين : تدور التغيرات الصوتية في هذه الكلمة بين ثلاثة أصوات: الزاي : أسناني ، مجهور ، احتكاكي، استمراري ، مرقق . التاء : صوت أسناني لثوي ، مهموس ، وقفي ، انفجاري ، شديد ، مرقق . الدال : أسناني ، لثوي ، مجهور ، وقفي ، انفجاري ، مرقق .

جاءت هنا فاء الكلمة وهي الزاي صوتًا مجهورًا ، والتاء صوت مهموس جاء بعدها "ازْتَهَر"،فأثرت صفة الجهر الموجودة في الزاي في صفة الهمس في التاء ، فتحولت التاء إلى نظيرها ، وهو الدال ،واختيرت الدال لأنها تشارك التاء في المخرج ، وجميع الصفات عدا الهمس ، فالتاء هي النظير المهموس للدال ، فأصبحت ازدَهَر .

إذن سبب الإبدال عند علماء الأصوات المحدثين تغليب الصوت المجهور على المهموس ؛ لكن ماسبب إبدال الدال زايًا مع أنهما مجهوران ؟ أجيب بأن التناغم الصوتي في بنية الكلمة لدى الناطق بها يحدث بهذه الطريقة بينما الناطق بـ "ازْدان" يحدث الانسجام الصوتي لديه بهذه الطريق وكلا النطقين صحيح .

د : إبدال الميم من الواو :

ذكر علماء الأصوات المحدثين أن التغيرات الصوتية تدور حول ثلاثة أصوات :

١٠٠- البنا ، الإتحاف ١٤٨/٢ ؛ الشيخ عبد الفتاح القاضي ، القراءات الشاذة ؛ ص٥٧ . انظر ص ٢٠ من البحث .

١٠١- معاني القرآن ، ١٠٧/٣ . انظر الصفحة نفسها من البحث .

١٠٢- أثر القوانين الصوتية ، ٢٠٣ ، انظر ص٢٠ من البحث .

الهاء : وهو حنجري ، مهموس ، احتكاكي ، رخو ، مرقق . الواو : شفوي (مخرجه الجوف بمشاركة الشفتين)، مجهور، احتكاكي ، رخو ، مرقق. الميم : شفوي ، مجهور ، وقف، أنفي ، مرقق .

والعلة الصوتية في حذف الهاء في "فوه" ؛ لخفائها ، فالهاء صوت مهموس ، فأصبحت فو ، فأبدلوا الواو ميما ؛لكونها من مخرجها ، فهما صوتان شفويان . ولاتوجد علة لإبدال الواو ميمًا ؛ لأنهما حرفان مجهوران حتى عندما وضعوا الشرط بألا تكون مضافة جاءت في حديث الرسول ﷺ – وهو أفصح البشر – مضافة ومع ذلك أبدلت ، وجاء إبدالها في شعر رؤبة فما الذي جوَّز ذلك ؟ الجواب التناغم الموسيقي داخل بنية الكلمة هو الباعث الحقيقي لهذا .

هناك نقطة أردت أن أضيفها في هذا البحث أن للتناغم الصوتي أو الانسجام علاقةً وطيدة باللهجات ، ولاتوجد قوانين ثابتة لهذا الإبدال فكل قانون كما رأينا له شواذ ، وهذا يقودنا أيضًا إلى أن طبيعة اللغة تخضع للممارسة وليس لقوانين لا تحيد عنها ، وهذا هو النظام الصوتي الذي سارت عليه اللغة العربية.

بقي أمر آخر هو ما الذي دعا الدكتور فوزي الشايب أن يتابع الدكتور داود عبده في أن صيغة "افْتَعَل" مقلوبة من "اتْفَعَل" ؟ ، ولا يوجد دليل على القلب المكاني من الأدلة التي وضعها الصرفيون القدامى ولا موجب له ، وهل هذا القلب موجود في الصيغ جميعها كاسم الفاعل والمفعول والمضارع والأمر والمصدر ؛ وهل هي مقصورة على ماكانت فاؤه واوا أو ياء أو صادًا أو ضادًا . . . بمعنى هل لفظة "احْتَجَم" أصلها "اتْحَجَم " مثلًا ؛ لأنه لو كان الأمر كذلك فمعنى هذا أن القلب المكاني ينسحب على المفردات جميعها ، ولا يختص بمفردة دون غيرها ؛ لتسير وفق القاعدة التي قعدها ، وعلى الرغم من ذلك فهو اجتهاد من الدارسين كليهما فجزاهما الله خيرا عنا .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المعرفية للموضوع نصل إلى الخاتمة التي أبدؤها **أولا : بالنتائج**

- تحـدَّدت مستـويـات دراسـة اللُّغـة بأربعـة مستـويـات هي : المستـوى الصـوتي ، والمستـوى الصـرفي ، والمستـوى النحـوي ، والمستوى الدلالي ، وقد أدرك علماء اللغة الأقدمون هذه العلاقة الوثيقة ، ولعل أول من التفت لها ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ه .
- من أغراض علم الصرف أمران : أمر يخدم اللفظ ، وآخر يخدم المعنى .
- لا يختلف تعريف علم الصرف عند القدماء عن تعريفه عند المحدثين .
- علم الصرف وعلم النحو كل منهما يكمِّل الآخر ؛ إذ الأول يُعنَى ببنية الكلمة ، والثاني بآخر الكلمة.
- حَلَّ مصطلح المورفيم في الدراسات اللغوية الحديثة محل مصطلح الكلمة في الدراسات اللغوية القديمة .

- لا فرق بين تقسيمات المحدثين لأبنية الكلمة ، وبين تقسيمات الأقدمين والفرق بينهما في المصطلحات فقط .
- هناك علاقة وطيدة بين الصرف والأصوات ؛ إذ يعتمد الصرف اعتمادًا كبيرًا على الأصوات ، وهو أشد التصاقًا به من النحو.
- لا يختلف تعريف الإبدال عند المحدثين عنه عند القدماء ، والفرق البسيط بينهما أن المحدثين عبروا عن الحرف بلفظ الصوت .
- علل الصرفيون القدماء لإبدال الحروف في وزن "افْتَعَل" بتعليلاتٍ صوتيَّةٍ تدل على سعة أفقهم .
- اختلفت آراء المحدثين تجاه تفسير المماثلة بين الصوتين ؛ إلا أنهم اتفقوا على أنه يجب إيجاد علاقة صوتية بين الصوتين المتجاورين.
- هناك نوعان من المماثلة الصوتية عند المحدثين : مماثلة رجعية ، وهي التي يؤثر فيها الصوت الثاني في الأول ، ومماثلة تقدمية، وهي التي يؤثر فيها الصوت الأول في الثاني.
- رأى الصوتيون المحدثون أن الغالب في العربية هي المماثلة الرجعية ، واستُثْنِي من ذلك إن كان الصوت الأول أقوى .
- تبنَّى الدكتور فوزي الشايب موقفًا جديدًا في إبدال ما كان على وزن "افْتَعَل"، وقصر التأثير في اللغة العربية على التأثير الرجعي ، وقوة الصوت لديه تنبع من أمرين :موقعه في المقطع ، وضعه بالنسبة إلى النبر.
- اعتمد الدكتور فوزي في تفسير حدوث الإبدال في صيغة "افْتَعَل" بالإضافة إلى الأمرين السابقين أن هذا الوزن منقلب عن وزن "اتْفَعَل" ؛ لكي يسير الإبدال وفق القوانين الصوتية التي وضعها .
- كل ما خالف قوانينه الصوتية ردَّه أو خالفه أو رذَّله حتى إن كانت قراءة قرآنيَّة .
- تبنَّت الباحثة موقفًا مختلفًا عن آراء الأقدمين والمحدثين ، وهو أن عملية الإبدال في ذلك الوزن إنَّما حدث ؛ لأجل التناغم والانسجام الموسيقي بين الأصوات ، ولا يخضع لقانون ثابت ، وقد أثبتت ذلك من خلال هذه الدراسة.
- ترتبط نظرية التناغم الصوتي في بنية الكلمة باللهجات العربية ارتبطا قويًّا .
- وكما أن لهذه النظرية علاقة قوية باللهجات فإن لها علاقة وطيدة أيضًا بالقراءات القرآنية .
- الهدف من إبدال الحروف من بعضها بعضًا هو التيسير والتسهيل في النطق .
- لا يوجد دليل على صحة قول الدكتور فوزي الشايب أن وزن "افْتَعَل" مقلوبة من "اتْفَعَل" ، ولو كان الأمر كذلك لظهر في بعض الصيغ كاسم الفاعل واسم المفعول . . . والألفاظ مثل " احتجم واختطب وارتطم .

التوصيات :

- لا توجد قوانين ثابتة لهذا الإبدال ؛ فكل قانون له شواذ – كما رأينا – ، وما ذلك إلا لأن طبيعة اللغة تخضع للممارسة ولا تخضع

لقوانين لا تحيد عنها ؛ لأن لكل قاعدة شواذًا.

- هذه النظرية ــ أعني نظرية التناغم الصوتي – يمكن تطبيقها على صور الإبدال المختلفة ، ومحاولة تطبيقها على الإعلال.
- لا يزال ميدان الصرف الحديث مجالاً خصبًا وبكرًا للدِّراسات اللُّغوية يمكن أن يسهم فيها اللُّغويُّون .

المصادروالمراجع :

- الأزهري ، الشيخ خالد زين الدين بن عبد الله.

١- **التصريح بمضمون التوضيح** . دراسة وتحقيق : د . عبد الفتاح بحيري إبراهيم. الطبعة الأولى . [بدون مدينة نشر] : الزهراء للإعلام العربي ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .

- الإستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن.

٢- شرح شافية **ابن الحاجب** . تحقيق : محمد نور الحسن و محمد الزفزاف و محمد محيي الدين عبد الحميد[بدون طبعة] بيروت : دار الكتب العلمية ؛ ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

- الأشموني ، نور الدين علي بن محمد .

٣- **شرح الأشموني** . تحقيق : أحمد محمد عزوز . الطبعة الأولى . بيروت : المكتبة العصرية ،١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.

- أنيس ، د . إبراهيم .

٤- **اللهجات العربية** . [بدون طبعة] . القاهرة : دار الفكر العربي ومطبعة الرسالة . [بدون تاريخ نشر] .

- بافضل ، د . صباح عبدالله محمد .

٥- **الإعلال والإبدال بين النظرية والتطبيق** . الطبعة الأولى . جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ؛ ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .

- البخاري ، محمد بن إسماعيل الجعفي .

٦- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه** . تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر . الطبعة الأولى . [بدون مكان نشر] : دار طوق النجاة مصورة من السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ؛ ١٤٢٢ه .

- بشر ، د . كمال .

٧- **التفكير اللغوي بين القديم والجديد** . [بدون طبعة] . القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر ، ٢٠٠٥م .

- البغدادي ، عبد القادر بن عمر .

٨- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** . تحقيق وشرح أ . عبد السلام محمد هارون . الطبعة الثانية . مصر : مكتبة الخانجي ؛ ١٤٠٢ه=١٩٨١م .

- البكوش ، د . الطيب .

٩- **التصريف العربي من خلال الأصوات** . الطبعة الثالثة . تونس : المطبعة العربية ، ١٩٩٢م .

- البنا ، الشيخ أحمد .

١٠- **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر** . تحقيق : د . شعبان محمد إسماعيل . الطبعة الأولى . بيروت : عالم الكتب و القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م .

- التهانوي ، محمد علي .

١١- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون . تحقيق : الدكتور علي دحروج . الطبعة الأولى . لبنان : مكتبة لبنان . ١٩٩٦م .

- ابن جني ، أبو الفتح عثمان .

١٢- **الخصائص** . تحقيق :محمد علي النجار ، [بدون طبعة]، بيروت لبنان :دار الكاتب العربي [بدون تاريخ نشر].

١٣- **سر صناعة الإعراب** . تحقيق : الدكتور حسن هنداوي . الطبعة الأولى . دمشق : دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، **١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .**

١٤- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات** . تحقيق : الأستاذ علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي . الطبعة الثانية . [بدون مدينة نشر] : دار سزكين للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

١٥- **المنصف** . تحقيق : الأستاذ إبراهيم مصطفى والأستاذ عبد الله أمين . الطبعة الأولى . [بدون مدينة نشر] : وزارة المعارف العمومية إدارة إحياء التراث القديم وإدارة الثقافة العامة ، ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م .

- حجازي ، د . محمود فهمي .

١٦- مدخل إلى علم اللغة . [بدون طبعة]. [بدون مكان نشر] . دار قباء للطباعة والنشر ، [بدون تاريخ نشر].

- حماد ، د .محمد أحمد .

١٧- **علم اللغة العام** . الطبعة الأولى . الرياض : :دار أشبيليا للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م .

- الحملاوي ، الشيخ أحمد .

١٨- **شذا العرف في فن الصرف** ، دققه وعلَّق عليه : الدكتور عبد الحميد هنداوي . [بدون طبعة] . بيروت : منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤م = ١٤٢٤هـ .

- خليل ، د . إبراهيم محمود .

١٩- **في اللسانيات ونحو النص** . الطبعة الثانية . عمَّان : دار المسيرة للنشر ، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م .

- رؤبة بن العجاج .

٢٠- **مجموع أشعار العرب المشتمل على ديوان رؤبة** . اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البردسي . [بدون طبعة] . الكويت : دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ؛ [بدون تاريخ نشر] .

• زهير بن أبي سلمى .
٢١- **ديوان زهير بن أبي سلمى** . تحقيق : علي حسن فاعور . الطبعة الأولى . بيروت لبنان : دار الكتب العلمية ؛ ١٤٠٨ه=١٩٨٨م.
• سليمان ، د . سليمان أحمد .
٢٢- **في علم اللغة والأصوات** . الطبعة الأولى . [بدون مدينة نشر] : مكتبة المتنبي ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .
• سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر.
٢٣- **الكتاب** . تحقيق : الأستاذ عبد السلام محمد هارون . الطبعة الثالثة . بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
• شاهين ، أ . د . عبد الصبور .
٢٤- **المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي** . [بدون طبعة] . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .
• الشايب ، د. فوزي .
٢٥- **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة** . الطبعة الأولى . الأردن : عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ١٤٢٥ه=٢٠٠٤م.
• الشنبري ؛ د . حامد .
٢٦- **النظام الصوتي للغة العربية** . الطبعة الثانية . القاهرة : مركز اللغة العربية ، ٢٠٠٧ م .
• ابن الطَّحَّان ، الإمام أبو الإصبع السُّماتي الإشبيلي .
- **مخارج الحروف وصفاتها** . تحقيق : الدكتور محمد يعقوب تركستاني . الطبعة الثانية ، [بدون مكان نشر] ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .
• عبده ، د . داود .
٢٧- **دراسات في علم أصوات العربية** . الطبعة الأولى . جدة : دار جرير للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠م .
• ابن عصفور ، علي بن مؤمن .
٢٨- **شرح على السِّلك والعنوان ومقام اللؤلؤ منه والعقيان** . منسوب إلى ابن عصفور، مخطوطة موجودة بالمكتبة العامة بالرباط ورقمها D٤٥٩.
٢٩- الممتع في التصريف . تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة . الطبعة الرابعة.، بيروت : دار الآفاق الجديد، ؛ ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .
• عكاشة ، د . محمود .
٣٠- **التطور الصوتي في الألفاظ أسبابه وظواهره** . الطبعة الأولى . القاهرة : دار النشر للجامعات ، ٢٠٠٩ م .
• علاَّم ، د . عبد العزيز و محمود ، د . عبد الله ربيع .
٣١- **علم الصوتيات** . [بدون طبعة] الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م .
• عمر ، د . أحمد مختار .
٣٢- **دراسة الصوت اللغوي** . الطبعة الثانية . القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨١ م .
• الفارسي ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار .

٣٣- **المسائل المشكلة المعروف بالبغداديات** . تحقيق : د . يحيى مراد . الطبعة الأولى . بيروت : لبنان : منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية ؛ ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م .

- الفخراني ، د . أبو السعود أحمد .

٣٤- **في علم اللغة العام** . الطبعة الأولى . الدمام : مكتبة المتنبي ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

- الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد .

٣٥- **معاني القرآن** . تحقيق : د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي والأستاذ علي النجدي ناصف . الطبعة الثالثة . بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م .

- القاضي ، الشيخ عبد الفتاح .

٣٦- **القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب** . [بدون طبعة] . بيروت لبنان : دار الكتاب العربي ؛١٤٠١هـ=١٩٨١م .

- قدور ، د . أحمد محمد .

٣٧- **مبادئ اللسانيات** . الطبعة الأولى . دمشق : دار الفكر ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .

- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم بن علي الإفريقي المصري.

٣٨- لسان العرب ، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين ، [بدون طبعة] ، القاهرة : دار الحديث ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

- مالك بن أنس .

٣٩- **موطأ مالك** . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . [بدون طبعة] . مصر : مصطفى البابي الحلبي ؛ ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م.

- ابن مالك الطائي الجياني ، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله .

٤٠- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد . تحقيق : د . محمد كامل البركات . [بدون طبعة] . [بدون مكان نشر] : دار الكاتب العربي ، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .

٤١- **شرح التسهيل** . تحقيق : د . عبد الرحمن السيد ود محمد بدوي المختون . [بدون طبعة] . [بدون مكان نشر] : دار هجر ؛ [بدون تاريخ نشر] .

٤٢- شرح الكافية الشافية . تحقيق : عبد المنعم أحمد هريدي . الطبعة الأولى . مكة المكرمة : جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ودار المأمون للتراث ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

- مسلم بن حجاج .

٤٣- **صحيح مسلم** . تحقيق : نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة . الطبعة الأولى. [بدون مكان نشر] : دار طيبة ؛ ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .

- النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل .

٤٤- **إعراب القرآن** . تحقيق : د . زهير غازي زاهد . الطبعة الثانية . مصر : عالم

الكتـــب ومكتبـــة النهضـــة المصـــرية ، ١٤٠٥ه=١٩٨٥م .

- هلال ، عبد الغفار حامد .

٤٥- **الصوتيات اللغويـــة** . الطبعـــة الثانيـــة . القاهرة : دار الكتاب الحديث ، ٢٠٠٩ م .

- ابن يعيش ، موفق الدين يعيش .

٤٦- **شرح المفصل** . قدم له ووضع هوامشـــه وفهارسه : إميل بـــديع يعقـــوب . الطبعـــة الأولى . بيـــروت :دار الكتـــب العلميـــة ، ١٤٢٢هـــ= ٢٠٠١م.